تحولات

نحو مجتمع جديد

شهرية • فكرية • ثقافية

www.tahawolat.net

العدد 72 تشرين الثاني 2012 24 صفحة 2000 ليرة

04 الشرق الاوسط الجديد وسايكس بيكو رقم 2

08 استباقاً لحرب اسرائيلية على الجنوب : المتحدات البشرية بدلاً من الجيوش

14 ألإنسداد الثقافي في تجمعات الشرق الأوسط البشرية

16 عبدة الشيطان والمخدرات والإعلام

لبنان والخيارات المأزومة...

زهير فياض

لا يمكن فصل التطورات السياسية في لبنان عن السياق العام لتطور الأحداث على مستوى المنطقة بأسرها، فالحدث اللبناني لم يعد لبنانياً في جوهر استهدافاته ومفاعيله الممتدة الى المحيط ، كما أن الحدث الذي يشهده المحيط يترك مفاعيل واضحة وتأثيرات لا مجال لتجاهلها أو تفادي نتائجها على الواقع اللبناني...

لذا فان أي قراءة متأنية لا بد لها – في النهاية- من الأخذ في الاعتبار هذا التفاعل الديناميكي للأحداث على كامل الساحة القومية في بلادنا.

من نافل القول... أن تعقيدات الوضع القومي العام مرتبطة بتعقيدات الصراع القائم وتشعباته واستهدافاته التي تطال –وهـذا واقـع- جوهر البنية المجتمعية بنسيجها الشعبي والاجتماعي وحاضنتها الثقافية والحضارية.

هذا –بالطبع- لا يلغي حقيقة لا بد من الاعتراف بها، وهي أن «لبنان – الكيان « مصاب بتشوهات خلقية منذ ولادته، أدت الى كل هذا الضعف البنيوي الذي رافق تاريخه المعاصر واستولد هذا الكم من أزمات سياسية واجتماعية متلاحقة ...تبدت في انفجارات سياسية وأمنية تجسدت في أبشع صورها أبان «الحرب الداخلية» (الخارجية) التي بدأت في العام 1975 ولم تحط رحالها حقيقةً في العام 1990، لأن شرارتها ما زالت تتوقد في جمر يرقد تحت رماد «التسوية « التي أرساها اتفاق الطائف برعاية عربية- دولية، والتي انتهت – على ما يبدو- صلاحيتها في العام 2005، عام التحولات الكبرى في لبنان، الذي كان ايذاناً باتخاذ الصراع المزدوج (لبنان والمحيط) أبعاداً جديدة، وتفاعلات عميقة، بدأت صورتها تتظهر بعد اجتياح العراق عام 2003، وطفو «مشروع الشرق أوسطية» الجديدة على سطح البركان الممتد من العراق الى فلسطين.

اذاً لا امكان واقعياً للفصل بين الحدث اللبناني وبين منظومة الأحداث المتسارعة في فلسطين والعراق وحالياً الشام، وهذا يغلب الرؤية القومية التي ترى على مساحة المنطقة «وحدة وتشابكاً لاتنفصل عراه» في معارك الحياة والمصير الواحد...

ان الواقع اللبناني المستجد الآن، هو امتداد لهذا الواقع التاريخي الذي حكمه ويتحكم به «الصراع على الهوية» وما يتفرع عن هذا الصراع من تداعيات ...

والانقسام السياسي الحاصل في لبنان هو جزء من نسق الانقسام الموجود حالياً في المنطقة بأسرها...

ولعل المعيار الحالي للانقسام – وبموضوعية - يحكمه الموقف من الصراع مع المشروع الصهيوني الرابض على أرض فلسطين ،

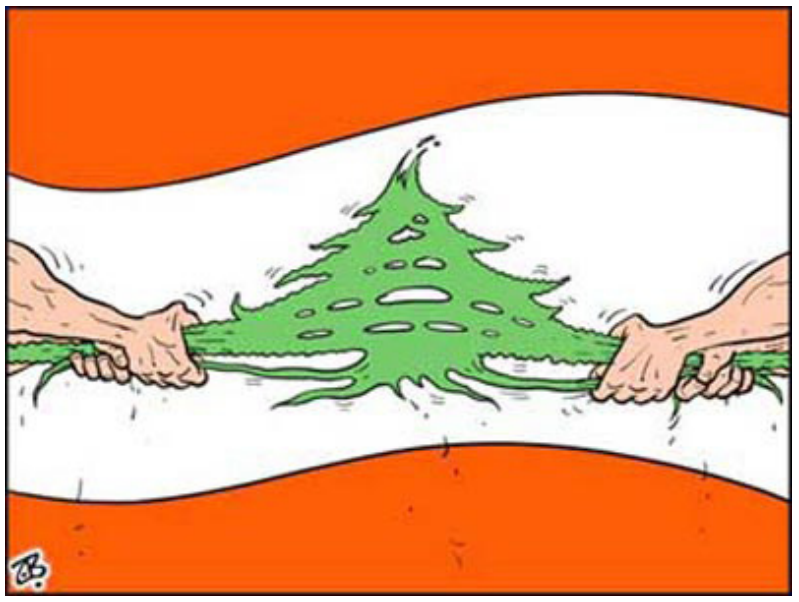

واختلاف الرؤى السياسية في قراءة نسخ هذا المشروع التي يتم تسويقها الآن تحت عنوان «التحديث» و «التطوير» و «الاصلاح».

بالطبع، حقائق الصراع الأساسية لا تخفى على أحد، ولكن، ثمة حاجة للتعمق في تحليل معطيات هذا الصراع وسبر أغوار جوانبه المختلفة والمتعددة...

لايكفي أن نعيد كل المآزق التي تواجهنا اليوم الى «المشروع المعادي» لأن «المشروع الآخر» يمثل جانباً من التحدي، أما الجانب الأخر فهو يرتبط بمسؤوليتنا التاريخية عن كل هذه الأعطاب البنيوية التي تعتري حياتنا الوطنية العامة.

فالتصدع البنيوي في المشهد الوطني والقومي في لبنان وفي كل كيانات الأمة يشكل أرضية مناسبة للعواصف والهزات لتفعل فعلها في احداث تشققات اضافية تزيد من تعقيد الأوضاع.

ولكن، لنتفق على أمر، «نحن نحيا في منطقة يحكمها صراع كبير» من نوع خاص، ولبنان يقع في قلب استهدافاته...

اذا اتفقنا على هذه «الحقيقة» وخرجنا من خزعبلات الدعوات الى «الحياد» بكل أشكاله الايجابية والسلبية، نكون قد خطونا خطوة هامة في عملية وضع الأصبع على «الجرح».

وهو مدخل لحسم مسألة الهوية والانتماء بأبعادها المختلفة، ولارساء قاعدة جديدة في السياسة والأمن والاقتصاد لا بد لها في النهاية من أن تحكم «الواقع اللبناني».

بالطبع نحن امام خيارين:

الخيار الأول : أن يتقدم المـشروع «المعادي» في المنطقة فيصيب بشكل مباشر لبنان – الكيان فيتعمق الشرخ الداخلي ويترسخ الانقسام الروحي والنفسي والمادي العميق بين أبناء الشعب فيه، وندخل من جديد في نفق «الصراعات العبثية» المدمرة.

الخيار الثاني» أن يتقدم المشروع المقاوم «للشرق أوسطية» بصيغها وأشكالها وأنساقها، وأن يرتبط تقدم «المقاومة»بمشروع قومي حداثوي للتغيير يرتكز على ثقافة قومية انسانية جامعة لا بد منها للخلاص الحقيقي.

باختصار، الخيار الأول هو خيار التدمير والانحلال والتفتت والتلاشي النهائي...

أما الخيار الثاني... فالتحدي الحقيقي أمامه هو حمله اضافة لشعلة المقاومة ثقافة التغيير القومي الديمقراطي الاصلاحي الحقيقي...

لأن الاصلاح حاجة ومسار لابد من حسمه، والسير به وتحقيق خطوات ملموسة تحقق الاستقرار الحقيقي الموعود...

المدير المسؤول : **سركيس ابو زيد**
إدارة التحرير : **زهير فياض**
سكرتير تحرير : **أليسار نافع**
مدير التحرير التنفيذي : **زاهر العريضي**
العلاقات العامة : **عائدة سلامة**
الاخراج الفني : **صلاح الموسى**

هيئة التحرير:
نجيب نصير، نجاتي ميداني، أسماء وهبة، عبير حمدان، ايهاب الحلبي، عامر ملاعب، يامن الدقر، ادهم الدمشقي، سلام الزبيدي، نادي قماش

تصدر بالتعاون مع مكتب الدراسات العلمية برئاسة منصور عازار ـ بيت الشعار- المتن الشمالي تليفاكس 04-914510

تصدر بموجب قرار رقم 82 تاريخ 1981/7/6 صادر عن وزارة الاعلام في لبنان

الناشر : دار ابعاد بيروت ـ شارع الحمرا ـ بناية هيونداي ـ ط7 **هاتف** :01-751541 /71-341622

توزيع : الناشرون بيروت ـ مشرفية سنتر فضل الله ـ ط4 **هاتف وفاكس** : 01/277088-01/277007
خليوي : 03-975033

دمشق مكتب عائدة سلامة للاخراج الفني والتحضير الطباعي ـ عدوي خلف دار الشفاء ـ سعر العدد 25 ل. س **تيليفاكس** : 44426588 **خليوي** : 0933331402
Email : aydasalameh@yahoo.com **المواد المنشورة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة**

للإشتراك والإعلان الاتصال على 01-751541 mail@tahawolat.net www.tahawolat.net

من يقرر مصير لبنان

منصور عازار

متى يحين للشعب اللبناني أن يقول لا،ومتى يصرخ في وجه أسياد الليالي أن يرحلوا ،ومتى يقف هذا الشعب مطالباً بحق تقرير المصير هذه الأسئلة يجيب عنها الكاتب منصور عازار الذي يدعو الشعب لكي يتقدم ويتولى زمام بلاده منذ البدء ، كان مطلوباً من الشعب اللبناني ان يكون غائباً ،مغيّباً، وفي كثير من الاحوال ،مجهول الاقامة السياسية .

منذ البدايات السياسية للكيان اللبناني ،كان مفروضاً ،عنوة وخفية ، تجهيل النخبة الواعية ، واستبدالها بنخب طائفية ، تستطيع ان تعقد صفقة المشاركة ، والمناصفة ، والمبايعة ،وقادرة على اقناع الشعب المغيب ، والمسلوب كل ارادة ، ان الوطن بخير ، وأن المستقبل يقوم على هذا الصدق المشترك ،بين الطائفة وزعمائها .

منذ كان هذا الوطن الحبيب ، والشعب اللبناني ملزم بأن يسجل اقامته في دفتر الطائفية ، ولا يسمح له ،الا لماماً ، بأن يخرج عن صراط الطائفية المستقيم.

وكانت الاحداث تتوالى ، والازمات تتفاقم ، حتى صار لبنان على ايدي الذين حضروا ولادته وتنشئته وتربيته وشبابه وشيخوخته الباكرة ، وما قبل موته خريطة مبعثرة ، وأملا شبه مستحيل، ومستقبلا يشبه كثيراً ، في مآسيه المنظورة، الماضي في آلامه التي لم تجد اعظم من اللبنانيين ، كشعب ، في تحملها وفي الصبر عليها .

وبعد كل ذلك ، وبعد حرب داحس الطوائف ، التي لم تتوقف على حافة امل بالخلاص ، ما زال الذين قادونا الى الهلاك ، يدّعون انهم يملكون مفاتيح جنة الوطن ... ولكننا نقول انهم يملكون مفاتيح جنون الوطن .

الى هؤلاء الذين يتحركون في كل الاتجاهات ، « لحل « مشكلة لبنان ، التي رعوها منذ الصغر حتى صارت اظافرها في لحم اعناق اللبنانيين ، الى هؤلاء الذين هم من نخبة القيادات الطائفية ، الذين يدورن بحثاً عن طاولة يجلسون عليها كي لا يتفقوا ، الا كما تقتضيه مصلحة طوائفهم ... الى هؤلاء الذين يعانون صبحاً وظهراً ومساءً وفي آخر آناء الليل ، انهم مع وحدة لبنان ، وانهم ضد التقسيم ، وانهم ...ويضيفون الى اعلانهم الجريء كل « طموحات « الطوائف التي يدّعون او يودون احتكار تمثيلها ، الى كل هؤلاء نقول : متى يحين دور الشعب اللبناني في ان يقول كلمته ؟

متى يحين للشعب اللبناني ، الذي عليه بني صرح الاستقلال، الذي جعله الطائفيون اعرج ، كلما وقعت احدى عكازتيه ، دفع اللبنانيون من تعبهم وعرقهم ودموعهم واجسادهم ثمن اصلاح الكسور التي اصابت جسم الوطن متى يحين لهذا الشعب ان يقول لا ؟

متى يسمح للشعب اللبناني الذي زجّوه في الحروب المتعاقبة غصباً عنه اولا ثم اقنعوه بها ثانياً ، بكل الوسائل « الديمقراطية طبعاً « كي يصبح هو دفعاً لها ، وافرازاً منها ...متى يسمح له أن يرفع حاجبيه رفضاً ؟

ومتى يسمح له ان يصرخ : اما آن لآسياد الليالي أن يرحلوا ؟ اما آن لهذه البلية ، التي قدسوها فسدّت الآفاق والمدى ، أن تعلن انها موجودة ، وان لها صوتاً نشازاً عن معزوفة الحروب وآلاتها الدموية ، وأن هذا الصوت هو صوت اللبنانيين الحقيقي ؟

أسئلة كثيرة ، ولكن لعل أبرزها هو : هل يحق للبنانيين ،لجميع اللبنانيين مقيمين ومغتربين ، ان يطالبوا بحق تقرير المصير ؟

نعم ... هذا المبدأ المكّرس المقدس ، نحن نعلن ان لهذا الشعب ، حقاً في الدعوة اليه وفي تحقيقه ... مهما طال الزمن .

فتقرير مصير لبنان الماضي ، صنعته الارادات الطائفية والاقطاعية والسياسية الصغيرة .، وتقرير مصير لبنان المستقبل ، يجب أن يكون حكراً على الذين لم يشاركوا في تدمير الهيكل الذي بنوه فوق اكتاف الشعب اللبناني ...وتقرير المصير للبنان الغد ، معركة طويلة ، يجب ان تحشد لها كل الطاقات الفكرية والعلمية والثقافية والمادية والسياسية اللاطائفية ، لإعادة بناء لبنان الجديد ، كما يريده اللبنانيون ، وليس كما يريده الذين نصبوا انفسهم آلهة صغيرة ،الا بدوائهم الذي هو الداء بعينه ...:

لبنان ليس طائفياً ، او توزيعاً «عادلا « او غير عادل بين الطوائف .

ليس اقطاعياً سياسياً ، يتوارثه الآبناء عن الآباء والآجداد ويورثونه للآحفاد .

وليس تابعاً كأعمى ، تقرر مصيره الارادات الداخلية المفروضة،

والارادات الخارجية « المقروضة « وليس مذبحاً يضحي فيه كل يوم ، قربان الشعب ، لتشبع آلهة الأصنام الجاهلية ... اللبنانيون حاضرون ... وسيعلنون عن حضورهم ، مهما طال زمن تغيبهم ...

وسيسيجون وطنهم بزنودهم ، ويعيدون اليه ، جوهرته التي سرقها منه سحرة السياسة وحواتها . ومن يعش يرّ .... ◗

موت السياسة في لبنان

سركيس ابوزيد

أمام المشهد الدولي - الاقليمي المربك والمتأرجح، تتوزع القوى السياسية اللبنانية دوائر النفوذ في المراكز والمناطق، وفق معادلة هشة تعطّل العمل السياسي الطبيعي، وذلك نتيجة سقوط النظام السياسي الـذي وصل إلى طريق مسدود، لعدم استكمال تطبيق اتفاق الطائف أو تطويره، ولانتهاء مفعول التسوية التي أقرّت في الدوحة وعجز المؤسسات الرسمية من حكومة وبرلمان عن الفعل، ولغياب الاتفاق على قانون انتخابات يجدد الحياة السياسية ويحسم الخلافات والنزاعات. والأخطر هو غياب المرجعية الدستورية القانونية والأنظمة التي ترعى إدارة الحكم ويمكن الاحتكام إليها.

وصلت الحياة السياسية في لبنان إلى أفق سياسي مقفل يصعب الخروج منه بالطرق السلمية الوفاقية. كما أنّ الاصطفاف السياسي الحاد بين 8 و14 آذار مع عدم وجود كتلة وسطية فاعلة ومؤثرة، فضلاًعن هامشية النقابات والأحـزاب والكتل الوطنية الجامعة، كل ذلك أدى إلى انسداد أفق التغيير. لذلك أعلن "موت السياسة" لأنّ لبنان تحوّل ساحة أمنية مكشوفة أمام أجهزة المخابرات المتنوعة والتنظيمات الارهابية التي تغلّب العنف على الطرح السياسي، علاوة على عدم جدوى الاعلام والوعي والتعبئة السياسية في أداء دور مؤثر في التغيير أو في الحد الأدنى في إدارة العمل السياسي الحر .

هكذا تم تغييب الأخلاق والالتزام والمسؤولية عن الحقل العام وسادت العصبيات السلطوية وأضحى الحراك السياسي بلا جـدوى، ومن دون معنى، وشعاره سلبي يتمحور حول الطلاق المزعوم بدلاً من السعي إلى زواج يبني أسرة.

وحدها المقاومة ضد إسرائيل حافظت على بريقها، لذلك تستهدف الفوضى المستشرية العمل على تطويقها لشل فاعليتها ولإلهائها، وذلك لتسهيل انزلاقها في مستنقع الفتنة والخوف من الفوضى، ما حدّ من فعلها، فأضحت أسيرة تركيبة قد تؤدي إلى خراب البلد عبر حروب أهلية متقطعة وفرض الجمود والستاتكو على قدرتها ودورها.

دخل لبنان في منزلق الحرب الأهلية تدريجاً وقد يتخللها هدنات متقطعة بانتظار انفجار كبير أو تسوية دولية إقليمية في المنطقة تنعكس على لبنان، أو بانتظار ربيع لبناني ما زال حلماً .

الشرق الاوسط الجديد وسايكس بيكو رقم 2

أعداد :رياض عيد

لم تلقى ازمة في العالم هذا القدر من الاهتمام والاصطفاف الاقليمي والدولي كما لقيته الازمة السورية ,هل هذا الاهتمام نظرا لموقع سوريا والهلا ل الخصيب الجيوسياسي كنقطة التقاء تلاتة قارات وعقدة طرق برية وبحرية وجوية تربط العالم?, ام لان اكتشافات الغازالواعدة في سوريا ولبنان ومياههما الاقليمية اسالت لعاب المتصارعين على امتلاك الطاقة للتحكم بالقرن الحالي? ام لان سوريا عقدة مواصلات الغاز وعليها بتوقف مصير غاز نبوكو وتركية واميركة وقطر لتحرير اوروبا من قبضة غاز بروم الروسية?. ام لان سورية وقفة عقدة كأداء بوجه ما يسمى الربيع الاسلامي الاخواني الاميركي الذي بدل العداء لاسرائيل بالعداء للشيعة انصياعا للاوامر الاميركية ? لكل هذا ,ولان سورية لم ترضخ لمشيئة اميركة والغرب بل عملت مع ايران على تقويض السياسة الاميركية والاطلسية والاسرائيلية وافشلتها عبر دعم المقاومات في لبنان والعراق وفلسطين. استهدفت سورية بهاذه الحرب الكونية التى تخاض على ارضها لاسقاطها وتفتيتها والمنطقة الى دويلات عرقية مذهبية عبر تقسيم المقسم (سايكس بيكو) وبقية العالم العربي الى دويلات مذهبية على اساس المذهب والعرق والطاقة لا على اساس سياسي كما وصفها الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل .

ويمكن القول بكثير من التأكيدأ إن الإستراتيجية الاميركية والغربية تجاه امتنا والعالم العربي والإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر تنطلق من الإيمان بضرورة تقسيم العالم العربي إلى دويلات إثنية ودينية مختلفة، حتى يسهل التحكم فيه.

وقد قسمت الامة السوريةعبر اتقاقبة سيكس بيكوعام1916 وغرست إسرائيل في قلب هذه المنطقة وفق وعد بتفورعام 1917 لتحقيق هذا الهدف. فعالم عربي يتسم بقدر من الترابط وبشكل من أشكال الوحدة يعني أنه سيشكل ثقلا إستراتيجيا واقتصاديا وعسكريا، ويشكل عائقا أمام الأطماع الاستعمارية الغربية.

ففي إطار الوحدة والتماسك تصبح إسرائيل جسما غريبا تلفظه المنطقة مما يعوق قيامها بدورها الوظيفي، كقاعدة للمصالح الاستعمارية الغربية. اما في إطار عالم عربي مقسم إلى دويلات إثنية ودينية وعرقية بحيث تعود المنطقة إلى ما قبل الفتح الإسلامي، أي منطقة مقسمة إلى دويلة فرعونية في مصر وأخرى أشورية بابلية في العراق وثالثة آرامية في سوريا ورابعة فينيقية في لبنان، وعلى القمة تقف دولة عبرية متماسكة مدعومة عسكريا من الولايات المتحدة في فلسطين المحتلة.

وفي إطار التقسيم تصبح الدولة الصهيونية العنصرية الاستيطانية، المغروسة غرسا في جسد الامة، دولة طبيعية بل وقائدة. فالتقسيم هو في واقع الأمر عملية تطبيع للدولة الصهيونية التي تعاني من شذوذها البنيوي، باعتبارها جسداً غريباً غرس غرساً كقاعدة متقدمة للاستعمار بالمنطقة العربية.

قال شمعون بيريزفي كتابه الشرق الاوسط الجديد: لقد جرب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن. وهذه هي الرؤية التي طرحها برنارد لويس منذ السبعينيات وتبناها المحافظون الجدد، وتدور السياسة الأميركية في إطارها.

وبعد أن ذاقت الولايات المتحدة مرارة الفشل في العراق وأفغانستان قررت أن تعهد لإسرائيل بتنفيذ مخططها الاستعماري بحيث تقوم بتدمير لبنان وحكومته فيتحول لبنان إلى بلد ديمقراطي على الطريقة العراقية، أي يدور في فلك المصالح الأميركية.

وبعد فشل الحرب على لبنان في تموز عام 2006 وانتصار المقاومة بفضل بطولة المقاومين والدعم السوري الايراني لها وبعد فشل ولادة الشرق الاوسط الجديد من لبنان الذي اعلنت عنه كوندوليزا رايس من على باب القصر الحكومي بعد لقائها رجلها الاول في لبنان فؤاد السنيورة ,وبعد فشل الهجوم الاسرائيلي على غزة لاحتلالها بعد اكتشاف الغار على الساحل الفلسطيني ولتحربرالجندي الاسرائيلي جلعاد شاليط . انتقلت الاستراتيجبة الاميركية الى خطة المحافظين الجدد واذكاء الفتنة المذهبية في المنطقة لتفتيتها واطلاق الشرق الاوسط الجديد لهذا اعلن عميل الCIA ملك الاردن عبداله التاني عن خطر الهلال الشيعي وضرورة مقاومته لتبديل اولويات الصراع .

وفي مقال بعنوان «الولايات المتحدة متواطئة مع إسرائيل في تحطيم لبنان» يقول المعلق الأميركي بول كريغ روبرتس (الموقع الإلكتروني 25 يوليو/ تموز 2006) إن ما نشاهده في الشرق الأوسط هو تحقق خطة المحافظين الجدد في تحطيم أي أثر للاستقلال العربي الإسلامي، والقضاء على أي معارضة للأجندة الإسرائيلية.

وهذا التصورالاميركي للشرق الأوسط ينطلق من تصور أن التاريخ متوقف تماما بهذه المنطقة، وأن الشعب العربي سيظل مجرد أداة بيد معظم حكامه الذين ينصاعون انصياعا أعمى للولايات المتحدة.

وأن هذا الشرق العربي مجرد مساحة أو منطقة بلا تاريخ ولا تراث مشترك تقطنها جماعات دينية وإثنية لا يربطها رابط وليس لها ذاكرة تاريخية ولا إحساس بالكرامة، فالعربي مخلوق مادي اقتصادي تحركه الدوافع المادية الاقتصادية.

الهيمنة قديمة قدم البشرية، عبارة اطلقها مستشار الامن القومي الاميركي الأسبق زبيغنيو بريجنسكي في اواخر السبعينيات من القرن الفائت. أما عبارة «الشرق الأوسط الجديد»، فقد رأت النور في شهر حزيران (يونيو) 2006، في تل ابيب، على لسان وزيرة الخارجية الاميركية آنذاك كوندوليزا رايس، التي قالت وسائل الاعلام الغربية عنها انها استخدمت هذه العبارة، لتحل مكان العبارة الأقدم «الشرق الاوسط الكبير».

هذا التحول في تعابير السياسة الخارجية الاميركية، تزامن مع تدشين مشروع خط انابيب النفط (باكو ـ تبليسي ـ جيهان)، في شرق البحر الابيض المتوسط، كما ان عبارة «الشرق الاوسط الجديد» وصلت الى اوجها، في تصريحات وزيرة خارجية اميركا ورئيس وزراء اسرائيل، في عز الحصار الاسرائيلي للبنان في العام 2006، بدعم انغلو ـ اميركي، يوم أبلغ أولمرت ورايس وسائل الاعلام العالمية أن «مشروعاً لخلق شرق اوسط جديد، قد انطلق من لبنان».

هذا الاعلان شكل تأكيدا لوجود «خريطة طريق عسكرية» اميركية ـاطلسية- اسرائيلية، في الشرق الاوسط. هذا المشروع الذي كان في مراحله التحضيرية منذ سنوات عدة يقضي بخلق قوس من عدم الاستقرار، والفوضى، والعنف، يمتد من لبنان الى فلسطين وسوريا والعراق، والخليج العربي وايران وصولا الى حدود افغانستان الشرقية والشمالية، مرورا بدول شمال افريقيا.

تنطلق الإستراتيجية الاميركية والغربية منذ منتصف القرن التاسع عشر بضرورة تقسيم العالم العربي إلى دويلات إثنية ودينية مختلفة، حتى يسهل التحكم فيه

ومشروع «الشرق الاوسط الجديد» جرى الاعلان عنه رسمياً من قبل واشنطن وتل ابيب، وسط توقعات خلاصتها ان لبنان سيكون نقطة الضغط لإعادة تصحيح الشرق الاوسط بكامله، وبالتالي لإطلاق قوى «الفوضى البناءة». هذه الفوضى البناءة، التي اسفرت عن اعمال عنف وحروب في المنطقة، سوف يتم استخدامها على مراحل متقاربة، بشكل يمكن الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل، من اعادة رسم خريطة الشرق الاوسط بما يتناسب مع حاجاتها وأهدافها الجيوـ استراتيجية.

خطاب كوندوليزا رايس حول «الشرق الاوسط الجديد» حدد اطار العمل. فالهجمات الوحشية الاسرائيلية على لبنان ـ والتي كانت مدعومة كليا من واشنطن ولندن ـ بلورت اكثر الاهداف الجيوستراتيجية لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل. البروفسور مارك ليفاين قال في حينه ان المحافظين الجدد في ادارة جورج دبليو بوش، يرون ان «التدمير الخلاق» يؤدي الى خلق «نظامهم العالمي الجديد». وأن هذا التدمير «يشكل قوة ثورية واسعة النطاق».وقد بدا ان الاحتلال الانغلو ـ اميركي للعراق، خصوصا كردستان العراق، كان تحضيرا لعمليات البلقنة (التقسيم) و«الفلدنة» (من فنلندا)، أي احلال السلام في الشرق الاوسط، ومشروع تقسيم العراق الى ثلاثة اجزاء خير دليل على ذلك.

الى ذلك ظهر ان خريطة الطريق العسكرية الانغلو ـ اميركية كانت تستهدف ايضا إيجاد مدخل الى آسيا الوسطى عن طريق الـشرق الاوسـط. فهذا الـشرق الاوسـط وأفغانستان وباكستان، تشكل معاً المداميك الاساسية لتوسيع النفوذ الاميركي الى داخل الاتحاد السوفياتي السابق، والجمهوريات السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى. وهكذا، ومنذ اواسط العام 2006، بدأت خريطة ملامح مجهولة نسبيا للشرق الاوسط، شيئا فشيئا، في دوائر الناتو الاستراتيجية، وسمح لها، بين حين وآخر، بالظهور الى العلن، وذلك ربما للحصول على الاجماع او التوافق، ولتحضير الرأي العام، بهدوء، للتغييرات المحتملة، والتي قد تقلب الامور رأسا على عقب، في الشرق الاوسط. وكانت هذه خريطة لشرق اوسط اعيد رسم حدوده وهيكليته، تحت اسم «الشرق الاوسط الجديد».

هذا هو الإطار الذي يتحرك داخله رالف بيترز، وهو ضابط متقاعد يحمل رتبة مقدم، وضع مخططاً لإعادة تقسيم الشرق الأوسط (في مقال نشر بمجلة القوات المسلحة الأميركية في عدد يونيو/ حزيران 2006، نقلا عن مقال لبيان الحوت «الشرق الأوسط الجديد مشروع أميركي محكوم بالفشل» 2006/8/9). ولا تعود أهمية المقال إلى عمقه أو إمكانية تحققه، وإنما إلى أنه يبين ما الذي يدور في خلد دعاة الشرق الأوسط الجديد، خاصة وأن الذي كتبه شخص مسؤول كان يعمل بالاستخبارات العسكرية الأميركية.

ينطلق بيترز مما يسميه الظلم الفادح الذي لحق بالأقليات حين تم تقسيم الشرق الأوسط أوائل القرن العشرين (يقصد اتفاقية سايكس بيكو) مشيرا إلى هذه الأقليات «بأنها الجماعات أو الشعوب التي خدعت حين تم التقسيم الأول» ويذكر أهمها: الأكراد، والشيعة العرب.

كما يشير إلى مسيحيي الشرق الأوسط، والبهائيين والإسماعيليين والنقشبنديين. ويرى بيترز أن ثمة كراهية شديدة بين الجماعات

الدينية والإثنية بالمنطقة تجاه بعضها البعض، وأنه لذلك يجب أن يعاد تقسيم الشرق الأوسط انطلاقا من تركيبته السكانية غير المتجانسة القائمة على الأديان والمذاهب والقوميات والأقليات، حتى يعود السلام إليه. (والنموذج الكامن هناك هو الدولة الصهيونية القائمة على الدين والقومية وامتزاجهما).

سايكس بيكو 2

ومن المؤكد أن اعادة رسم خريطة الشرق الاوسط وتقسيمه، ابتداء من الشواطئ الشرقية للبحر الابيض المتوسط، في لبنان وسوريا، الاناضول (في آسيا الصغرى)، مرورا بشبه الجزيرة العربية، والخليج العربي، والهضبة الايرانية، وصولا الى مصر والسودان ودول شمال افريقيا، يعكسان اهدافا اقتصادية واستراتيجية وعسكرية واسعة، تشكل جزءا من اجندة اطلسية ـ اميركية ـ اسرائيلية قديمة في المنطقة.

وفي الواقع يلاحظ أن افغانستان، التي تخضع لسلطة قوات حلف الناتو قد تقسمت على الارض. كما ان العداوات القوية قد زرعت في الشرق العربي، خصوصا في فلسطين ولبنان. ولا يزال الغرب يبذل مساعيه لبث الشقاق في سوريا وايران، وتعمد وسائل اعلامه على قاعدة شبه يومية، الى تسريب اخبار عن ان الشعب العراقي لم يعد قادرا على التعايش السلمي بين المذاهب والطوائف والاثنيات، وأن الازمة ليست بسبب الاحتلال الاميركي، بل بسبب «حرب اهلية» تغذيها النزاعات القائمة بين الشيعة والسنة والاكراد.

وبالعودة الى بريجنسكي، مستشار الامن القومي الاميركي الاسبق نذكر بأنه صرح في العام 1991، والحرب العراقية ـ الايرانية في أوجها «ان المعضلة التي ستعانيها الولايات المتحدة من الآن وصاعدا هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الحرب بين العراق وايران، وتستطيع اميركا، من خلالها، تصحيح حدود «سايكس ـ بيكو».

عقب هذا التصريح، وبتكليف من وزارة الدفاع الاميركية، بدأ المؤرخ الصهيوني ـ الاميركي برنارد لويس وضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والاسلامية كل منها على حدة، ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وايران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الافريقي، وتفتيت كل منها الى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية. وقد أرفق مشروعه المفصل بمجموعة من الخرائط المرسومة بإشرافه، وبموافقة البنتاغون، وتشمل عددا من الدول العربية (والاسلامية) المرشحة للتفتيت، وذلك بوحي من مضمون تصريح بريجنسكي الذي دعا الى تصحيح حدود سايكس ـ بيكو، بما يتناسب مع المصالح الاميركية ـ الصهيونية.

وفي العام 1983، اقر الكونغرس الاميركي بالإجماع، في جلسة سرية، «مشروع لويس»، وتمّ بذلك تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الاميركية الاستراتيجية للسنوات المقبلة. وقد أرفق لويس خرائط

تقسيم الدول، بهذا المشروع على الشكل الآتي:

مصر 4 دويلات: سيناء وشرق الدلتا (تحت النفوذ اليهودي). ليتحقق حلم اليهود من النيل الى الفرات

دولة إسلامية تمتد من شرق الدلتا إلى المنيا وعاصمتها القاهرة، والدولة الثانية نصرانية من غرب الدلتا إلى مطروح ووادي النطرون وعاصمتها الإسكندرية، والدولة الثالثة النوبة تمتد من أسيوط جنوبًا إلى جزء من شمال السودان

- السودان: 4 دويلات ايضا هي:

-دويلة النوبة: التي تتكامل مع دويلة النوبة في الاراضي المصرية التي عاصمتها اسوان.

- دويلة الشمال السوداني الاسلامية.

- دويلة الجنوب السوداني المسيحية.

- دويلة دارفور.

وبالنسبة الى دول الشمال الافريقي، فإن «مشروع لويس» يرمي الى تفكيك ليبيا والجزائر والمغرب بهدف اقامة:

-دويلة البربر: على امتداد دويلة النوبة في مصر والسودان.

- دويلة البوليساريو.

- دويلات المغرب والجزائر وتونس وليبيا.

وبالنسبة الى شبه الجزيرة العربية ودول الخليج يقضي «مشروع لويس بإلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والامارات العربية المتحدة، من الخريطة، ومحو وجودها الدستوري والدولي، بحيث تضم شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط هي:

-دويلة الاحساء الشيعية) تضم الكويت والامارات وقطر وعمان والبحرين).

- دويلة نجد السنية

- دويلة الحجاز السنية.

اما في العراق فيرى لويس ضرورة تفكيكه على اسس عرقية ومذهبية على النحو الذي حدث في سوريا في عهد العثمانيين، اي الى 3 دويلات هي:

-دويلة شيعية في الجنوب حول البصرة.

- دويلة سنية في وسط العراق حول بغداد.

- دويلة كردية في الشمال والشمال ـ الشرقي حول الموصل (كردستان) وتقوم على أجـزاء من الاراضي العراقية والايرانية والسورية والتركية والسوفياتية (سابقا).

في ما يتعلق بسوريا، يرى المشروع ضرورة تقسيمها الى اقاليم متمايزة عرقيا او مذهبيا، وعددها اربعة هي:

-دولة علوية ـ شيعية (على امتداد الشاطئ).

- دولة سنية في منطقة حلب.

- دولة سنية حول دمشق.

- دولة الدروز في الجولان ولبنان (الاراضي الجنوبية السورية وشرق الاردن والاراضي اللبنانية).

اما لبنان فقد استقر رأي لويس على وجوب تفتيته الى ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية، هي:

-دويلة سنية في الشمال، عاصمتها طرابلس.

- دويلة مارونية ـ مارونية شمالا (عاصمتها جونيه).

- دويلة سهل البقاع الشيعية (عاصمتها بعلبك).

- بيروت الدولية (المدولة).

- كانتون فلسطيني حول صيدا حتى نهر الليطاني تسيطر عليه السلطة الفلسطينية.

- كانتون في الجنوب يعيش فيه المسيحيون مع نصف مليون من الشيعة.

- دويلة درزية (في اجزاء من الاراضي اللبنانية (حاص بيا) والسورية والفلسطينية المحتلة).

- كانتون مسيحي جنوبي خاضع للنفوذ الاسرائيلي.

تركيا يقترح المشروع انتزاع جزء منها وضمه الى الدولة الكردية (كردستان الحرة) المزمع اقامتها في شمال العراق، اما الاردن فيقضي المشروع بتفتيته وتحويله الى دولة فلسطينية تضم فلسطينيي الداخل ايضاً.

وفي المشروع فقرة تتصل باليمن الذي يفترض أن يذوب لينضم في نهاية المطاف الى دولة الحجاز.

في جانب آخر، يؤكد الخبراء والباحثون الاميركيون، وعلى رأسهم جيمس زغبي رئيس المعهد العربي ـ الاميركي، أن الثورات العربية نجحت في وضع حد للأساطير التي رعاها المحافظون الجدد وأمثالهم، وحافظوا عليها لمدة طويلة، والخاصة بتقسيم وتفتيت المنطقة. ويؤكد زغبي: ان «الثورات العربية» نجحت في اطلاق مشاريع التقسيم التي قادتها الولايات المتحدة والغرب والكيان الصهيوني، وأحدثت صدمة وهزة في المنطقة، ونشرت في ربوعها الفوضى تمهيداً لإقامة شرق أوسط جديد

اختم واستعير من بريجنسكي (الهيمنة قديمة قدم البشرية) وفي تنازع الامم للبقاء لامكان للضعفاء الذين دائما تأتي نتائج الصراع على حسابهم لقد مر على امتنا الكثير من الفتوحات والمؤامرات كان شعبنا يستنبط اساليب جديدة من النضال في كل مرحلة كي يدافع عن ارضه وحقه في الحياة العزيزة الكريمة ان شعبنا عرف خيار المقاومة بانه الخيار الوحيد الناجع لمواجهة ما يحاك من مؤامرات . ◗

اللاعقلانية كصفة للحداثة وما بعدها

محمود حيدر

لعلّ أكثر ما امتاز به عصر التّنوير في الغرب، أنّه وضع أمام مفكّريه وفلاسفته خيار القطيعة الصارمة بين العقل والخرافة. في ذلك الوقت كانت المجادلات الفكرية والفلسفية مركوزة ضمن دائرة حسم هذه الثنائيّة لمصلحة العقل. وكانت الحجة البالغة لدى هؤلاء، أنّ حاكمية العقل هي الشرط التاريخي الذي لا مناص منه لإطلاق حركة العلم والتّصنيع ودورة رأس المال.

التّسويغ الثقافي والإيديولوجي الذي تقاطعت حوله أفكار التنويريين, هو قلب ما كان شائعا في مجتمعات القرون الوسطى، وتحويله إلى نصابٍ آخر. فقد جاءت الحصيلة المعرفية للحداثة، لتبيّن أنّ الإنسان هو مركز الكون، بعدما احتلّته الخرافة والميتافيزيقا الدينية.

ولكي نستظهر الصّورة المُجْملة على حقيقتها، لنا أن ننطلق من وقائع القرن الثامن عشر في أوروبا، وهو القرن المعروف بعصر النهوض في الثقافة الفرنسية، وعصر التّنوير في نظيرتها الإنجليزية.

على أنّ اتّجاه هذا العصر نحو العلم، ومن خلال الاعتماد الصارم على العقل في معرفة أسرار الكون الفيزيائي، وقوانين التاريخ السياسي والاجتماعي، هو من مفضياتِ الثورة العلميّة في القرن السابع عشر. ذلك ما ظهر مع «نيوتن» في ما عُرِف بالتّفسير العقلاني العلمي للعالم، وهو الأمر الذي حفّز الفكر الاجتماعي على إطلاق طموحه ليُحَقّق ما حقّقه «نيوتن» في ميدان الطبيعة.

لكن الثّقة بقدرة العقل على فهم قوانين الكون الطبيعي، تلازمت مع ثقة موازية بقدرته على فهم حركة التاريخ، وقوانين التغيير التي تحكمها. وعلى ذلك يمكننا أن نلحظ كيف كان هذا العصر، هو نفسه عصر الفكر الذي انبثقت منه الإيديولوجية الليبرالية، التي شرَّع لها «مونتسكيو» على صعيد الفكر السياسي. وهذا الأخير ـ على ما نعرف - هو المشرّع الذي يُنظر إليه بوصفه والد الإيديولوجيا العقلانية الليبرالية، في بعديها السياسي والدستوري.

بل ثمّة من مضى إلى أن «مونتسكيو» تخطّى العلاّمة ابن خلدون باقتراحه النّظام اللاّزم لقوننة الحريّة، والحؤول في الآن عينه، دون استشراء الاستبداد. وهذا الاقتراح هو عين المبدأ القائل بفصل السّلطات، باعتبار أنّ توحيد مركز السُّلطَة سوف يؤدي بالضّرورة إلى واحدية المنظومة السياسية الحاكِمة.

لم يدُم الانخطاف طويلا بدهشة التّنوير؛ فالعقل الذي اتّخذ سبيله لرعاية النّظام العام للدّولة والمجتمع، سوف يتّخذ سبيلاً معاكساً بعد وقتٍ قصير. فلقد بانَ بوضوح، ولا سيما بعد ظهور الدولة القومية، وسعيها إلى تمديد سيادتها خارج أرضها، أنّ اللاّعقلانية في الغرب الحديث، طفقت تحتلُّ المواقع الأساسية في عقل الدولة والمجتمع.

ففي السّنين الأولى للقرن العشرين، وتحديدا في العام 1920، عمّت التّشاؤميّة في حقول الفكر والثّقافة والفلسفة، لتعكس ظاهرة معرفيّة مفارقة في الغرب الأوروبي. ففيما كانت النّخب في العالم الإسلامي مأخوذةٌ بسحر الحداثة وأنوارها، جاءتها عواصف مفاجئة من جغرافيات الحداثة نفسها، لتهتز معها طائفة وازنة من العناوين التي دأبت على الأخذ بها كسبيل هادٍ لإنجاز حداثتها.

لقد جاءت عواصف النقد لتُشير إلى رجوع العقل في الغرب إلى سيرته الغابرة، ثمّ ليستأنف مأزقه على نشأة أخرى. فلئن كانت الخرافة قد تراجعت أمام سطوة الحداثة، فإنّ هذه الأخيرة ستتعرَّض لضرباتٍ شديدةٍ الإيلام، من جانب تيارات فلسفية عبَّرت عن نفسها بما يشبه الاحتجاج العبثي على باب الحداثة المسدود.

نستطيع أن نرى إلى هذا التّحوّل من خلال ما قدّمه نقاد التنوير من بيانات متشائمة. فلمّا أعلن هؤلاء أنّ الحضارة الغربيّة انبنت على استراتيجية متفسِّخة، فقد ابتغوا بذلك الإشهار الصريح لأنّ تلك الحضارة آلت إلى سحق غرائز الإنسان الحيويّة، من خلال السيطرة على الطبيعة، وعلى الذّات، وعلى الآخرين.

قبل بضعة عقود، كان للمفكر المعروف هربرت ماركوز، رؤية ثاقبة في تشكيل صورة دراميّة للمجتمع الصناعي الغربي. لقد تحدّث يومها عن مقولة الإنسان ذي البعد الواحد، الذي أنتجه مجتمعُهُ ذو البعد الواحد. فقد لاحظ أنّ الإنسان في هذا المجتمع فَقَدَ «حقّه» في الحياة، بمجرّد أن سلّم للمجتمع مقاليد أمره.

فهو توهّم أنّه يعيش الحريّة، فيما هو يغرق في استلاب سحيق لا قاع له. وفي اعتقاده أنه إذا كان المجتمع يحرص على تلبية هذه الحاجات المُصطنعة، فليس ذلك لأنها شرط استمراره ونمو انتاجيّته فحسب، بل أيضا لأنها خير وسيلة لاستيلاد الإنسان المسلوب.

ذاك القابل بالمجتمع «الواحدي» والمُتكيّف معه. فالإنسان ذو البُعد الواحد بهذه المعايير، هو الذي استغنى عن الحريّة بوهم الحريّة. فلو ظنّ (هذا الإنسان) أنّه حرٌّ لمُجرَّد أنه يستطيع أن يختار حاجاته من بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات، فما أشبهُهُ من هذه الزاوية بالعبد الذي يتوهّم أنّه حرٌّ لمُجرّد أنْ مُنِحَت له حريّة اختيار سادته (...). والمجتمع الصناعي ـ في رأي ماركوز ـ لم يُزيّف حاجات الإنسان الماديّة فحسب، بل زيَّف أيضا حاجاته الفكريّة، أي عقله وفكره بالذّات.

ذاك أنّ العقل الذي يتأمّل ويتفكّر هو في واقع حاله، عدوٌّ لدود لمجتمع السيطرة, لأنّه يمثل قوّة العقل النقديّة، السالبة، التي تتحرّك دوما في اتجاه ما يجب أن يكون، لا نحو ما هو كائن. وهذه القوّة هي في خاتمة المطاف قوّة إيديولوجيّة، راحت سُلطة الحداثة تُوظّفها لخدمة إمبرياليتها الصّاعدة.

ولئن كان المجتمع الليبرالي، ثم الما بعد ليبرالي، قد أحاط الإيديولوجيا بـالازدراء والتّحقير باسم عقلانيّته التّكنولوجيّة، أو بذريعة النظر إلى الحقائق بزعم أنّها تتبدّى له كضوء الشمس، فذلك لا يعني أنّه لم تَعُد هناك إيديولوجيا، أو أنها أوشكت على أن تواجه موتها المحتوم.

لدى نقّاد الحداثة، ولدينا أيضاً، أنّ المدنيّة التّقنيّة وهي في ذروة جنونها، باتت هي الإيديولوجيا بعينها. ولقد تبيّن من خلال ما شهدته أطوار القرن العشرين المُـنـصرم، أن أبـرز وجوهها من هذه الزّاوية، هو المذهب العملي في الفيزياء، والمذهب السّلوكي في العلوم الاجتماعيّة، وصولاً إلى المذهب البراغماتي في حقول الاستراتيجيّات السياسية والاقتصادية. وإلى ذلك على الجملة، سوف نجد أن السّمة المشتركة الأساسية لتلك المذاهب، هي الالـتـزام بالواقع المُعْطَى، ونبذ المفاهيم الشموليّة أو النّقدية التي تُهدِّد بالكشف عن بُعد آخر لذلك الواقع.

أما الصورة الآن، فلا تُفْصِح إلاّ عن جرعة يسيرة ممّا منحه لنا ميراثُ العقل. ولنا أنْ نقول إنّ منطق التّحوّلات الذي افتتحته الحداثة الغربية منذ بداية القرن العشرين وإلى بداية زمن العولمة، لم يُسفِر إلاّ عن إدخال الإنسان في لجّة غير آمنة.

أما كارثة التّحرُّر التي تحدّث عنها نقّاد الحداثة المعاصرة، خصوصا بعد أفول البريق الإيديولوجي للشيوعية.. فهي تلك التي راحت تدفع العالم إلى فضاء اللاّعقلانية، بوسائط شديدة العقلانيّة. وهنا تكمُن على نحو خاص قوّة المُجتمع العولمي ذي البُعد الواحد: أي الطابع العقلاني للاعقلانيته. بحيث ذهب هذا النّوع من «المجتمع العولمي»، إلى تسويق ما عُرف بـ«الفكر الإيجابي»..

الـذي يُمَهِّد لسيرورة مديدة من الامتثال والإذعـان وعدم الاحتجاج. ذلك أن القبول بمثل هذا النوع من «الإيجابية»، هو قبول قسري لا بحكم الإرهاب، وإنّما بفعل سلطة المجتمع التكنو- إلكتروني وفعاليّته السّاحقة.

رئيس تحرير مجلة مدارات

تركيا : إنشطار في الحضارة وإرتباكٌ في الوظيفة

أمـين الـذيب

تُعاني تركيا بعد إنحسارها القسري عن التمدد بإتجاه أوروبا، وتراجع الجهد الذي بذله أربكان والقوى العسكرية في إرتداء مظاهر العلمانية ، أمام تناقض المشروع التركي وإستهدافاته في إيجاد حيوية جديدة تعوض عن سقوط الامبراطورية المريضة ، والمشروع الاميركي الذي كان يرسم دوراً مُغايراً لتركيا إستكمالا لمشروع الهيمنة على منابع الغاز والطاقة . جاء الإنقلاب على أربكان نتيجة لإنخراط رجب طيب أردوغان وأحمد داوود اوغلو في المشروع الاميركي الذي انتج حزب العدالة والتنمية كآلية تُحقق التمدد التركي شرقا حتى عُمق روسيا وجنوباً للهيمنة على العالم العربي وصولا الى مشارف القارة الإفريقية تحت مُسمى إسلامي يستفيد من الجيوسياسي المُترهل في المدى الإستراتيجي المرسوم كمنطقة عمليات تستند الى الجيو إقتصادي الناتج عن مشروع نابوكو المُعلن عنه في العام 2002 في إسطنبول .

إن نظرة واضحة لموقع تركيا التي نجت من التقسيم في الحرب العالمية الثانية فقط للإستفادة من موقعها الإستراتيجي كحاجز طبيعي يوقف المد الروسي بإتجاه أوروبا والغرب ، تُبيّن الوهم في نظرة القيادات التركية المُستحدثة في تقدير القوة السياسية والإقتصادية والثقافية التي تعتبرها من عناصر قوة الدولة الكافية لخرق الإنسجام بين الحزام الجيوسياسي والحدود القانونية الثابتة بإستثناء الهبة الإستعمارية الإسترضائية بإقتطاع لواءي كيليكيا والإسكندرون في ظل سكون حيوي تام ساد تركيا والمنطقة بعد إتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور ، فإندفاعة النظرية التركية المُلتبسة في قراءة موازين القوى الناشئة لإعتقادها بأن توازنات تحالفاتها مع اميركا وإسرائيل وعضويتها في الاطلسي ستحقق لها التفوق والتمدد الحيوي مُستفيدة من الصراع الجيوسياسي الإقليمي والدولي ، مُرتكبة خطأ إستراتيجيا مُدمرا حين أضفت على العامل الديني وظيفة سياسية تمتطيها كوسيلة عبور لتحقيق أغراضها التوسعية ، كبديل عن العوامل السياسية والإقتصادية والثقافية والعسكرية كأدوات مُتكاملة تُعيدها الى الساحة العالمية كقوة فاعلة تُخطط لإستعادة دور الأمبراطورية القابضة .

لم تستطع تركيا إنجاز لحظة التحول من النظري الى التطبيقي بسبب الخلل الناجم عن محدودية قدراتها الذاتية ، وإخفاقها في قراءة الجيو سياسي والجيو إستراتيجي الإقليمي والدولي ، فكانت اللحظة الحاسمة في إظهار عجزها الكامل في تقرير مصير المنطقة ، بل ظهرت هشاشة وتباينات وضعها الداخلي مُتزامنة مع واقعين شكلا صدمة كبيرة ، ألاول سقوط إمكانية تدخل الاطلسي ، وهذا ما كانت تعوّل عليه ، وإحجام اميركا أو عدم قدرتها على التدخل المباشر ليس فقط بسبب إستحقاق الإنتخابات الرئاسية إنما بسبب الواقع الثاني المُتمثل بالمواقف الروسية والصينية والإيرانية التي شكلت توازنا دوليا حاسما في المنطقة المُتصارع على مواردها ، والذي يجب ان يكون مدار حوار في الراهن هو مدى إنعكاس إنحباس وإنسداد الافُق التركي بعد ان إستنفذت كافة الوسائل في محاولتها إحداث تغيير في سوريا أكان من تأمين سلاح وإدخال المسلحين ألاجانب والمُتشددين أو إحتضان قيادات المُعارضة على أراضيها أم الإنخراط مع عرب الاميركان والاميركان بهدف تغيير الواقع السوري كخطوة ضرورية لإستئناف التقدم الى العمق الروسي ذات الأكثرية الإسلامية ، وقد يكون التوتر الذي تشهده الحدود السورية التركية يحتمِل مخرجين أو سيناريوهين ، الاول سعي تركيا من خلال تحريك قواتها العسكرية وإعلان تغيير قواعد الإشتباك مع سوريا لإستقطاب المُبادرات الإقليمة بهدف إيجاد حلول وتسويات مع الإقليم تُتيح لها ضبط حدودها وإقفالها أمام تدفق المقاتلين المتنوعي المشارب والغايات والاهداف ، والذين أصبحوا مشكلة حقيقية قد تؤثر على تماسك الداخل التركي المتنوع بأثنياته وقومياته وتركيبته الحضارية المُتعددة والمتباينة في وجهة نظرها من مفهوم الوطن ، إضافة المنهج العلماني المُتشكّل من العسكر والمعارضة ، أم الإسلام المُعتدل الذي يخوض حروبا عبثية لمصلحة أميركا وإسرائيل ، وهذا سيؤدي حُكماً الى تزايد هشاشه الداخل بفعل الاحداث الجارية ، ما قد يُشكل مخرجاً لائقا لتورط تركيا المُتزايد خاصة بعد سقوط رهانها على تدخل حلفائها العسكري ضد سوريا حسب النموذج الليبي ، اما السيناريو الثاني والذي قد يكون أشد خطورة وحساسية وتهورا في آن ، وهو الهروب الى الامام والدخول في حرب ضد سوريا ، فتركيا أصبحت بحاجة ماسة الى الخروج من مأزقها الذي وضعت نفسها فيه من اللحظة التي قررت فيها ان تعود كدولة مؤثرة على الساحة الدولية ، ولكي تورط الاطلسي وأميركا قد تلجأ ألى إشعال فتيل الحرب في لحظة دولية شديدة الحساسية ، روسيا تُدرك ان تركيا تسعى للتمدد بإتجاه إسلاميي روسيا وأنها بدأت إصدار جوازات سفر تركية لما يُقارب 25000 إسلامي من دول الإتحاد السوفياتي السابق ، وروسيا تُدرك أيضاً ان تركيا الاطلسية هي الذراع الاميركي الضارب في العمق الروسي الساعي الى تدمير شركة غاز بروم وإعادة روسيا الى القرون الوسطى ، وإيران التي وقعّت مع سوريا إتفاقية دفاع مشترك تعتبر تحالفها مع سوريا إستراتيجيا بإمتياز ، وقد أبلغت خارجيتها تركيا مرارا بجدية مواقفها ، لذلك فإن المُغامرة التركية ، بوجود الاساطيل الروسية والصينية والاميركية وحلفائها في المتوسط ، تستعجل خلط الاوراق توخيا لعدم سقوطها والحفاظ على وحدتها الداخلية التي بدأت تظهر فيها إعتراضات كردية قومية لا زالت تسعى الى تحرير عبدالله اوجلان وتركمانية وعلوية وشيعية من ناحية ، وللدفع بإتجاه إعادة الإعتبار الى مشروع نابوكو الذي بنت تركيا إستراتيجيتها وإستكملت تحولاتها الفكرية والثقافية بناء عليه ، وأصبح مستقبلها كحيوية سياسية مرهوناً بنجاح هذا المشروع الذي أصبح من الماضي بسبب ظهور وصعود حيويات جيوسياسية وجيو ثقافية وجيو إقتصادية مُناقضة لمشروع العدالة والتنمية التي إستنسخت مثائل لها في مصر وتونس وليبيا ولكن دون جدوى لعدم قدرتها على تغيير موازين القوى الناشئة ، هذه الحيويات شكلت سدا منيعا بوجه تركيا وأوقعتها في مأزق مصيري و وجودي ، فالهالة الكبيرة التي قدمت تركيا نفسها بها عجزت بالتالي عن تجاوز سوريا ، بعد عجزها عن إستجداء إعتذار من نتنياهو إثر قضية مرمرة ، وهذا يُظهر الضحالة في الفكر الإستراتيجي وفي قراءة الوقائع كدولة تقدم نفسها على أنها حيوية قادرة على إختراق وتجاوز مدى الحدود القانونية الإقليمية كجيو سياسي إقتصادي ثقافي توسعي .

إذا ما أضفنا الى المُعادلة فشل تركيا في التمدد شرقا بإتجاه الإسلام الروسي ، وجنوبا بإتجاه الإسلام العربي الذي يُصنف نفسه مُعتدلا والذي حالت سوريا دون تحقيقه ، بعد فشلها في التمدد غربا وعدم تمكنها من الفوز بعضوية الإتحاد الاوروبي ، يتبين لنا بوضوح ان تركيا بحكم موقعها الجغرافي تشعر انها بحاجة للتوسع والنفوذ كي تستطيع ان تبقى وهذا راسخ في الفكر السياسي التركي القديم ـ فكرة الامبراطورية العثمانية ـ بكل تجربتها المُقتصرة على القوة العسكرية ، والحديث المتأثر والمتماثل بتجارب دول شديدة الحيوية وإنبهار الفكر التركي الذي يعتبر التمدد والنفوذ لتحقيق حلمها بالوجود الفاعل على الساحة الدولية ضرورة وجودية لها ، وهذا يحتاج الى تكوين خطوط جيوسياسية أمامية مُدّعمة بالعناصر الثقافية والتاريخية المُتراكمة لأي مُجتمع حيوي من شأنه أن يُكسبه دورا مهما في تشكيل وضع هذا المجتمع في مراكز النفوذ الدولية ، وهكذا تتضح معالم إرادة التوسع التركية التي وضع أحمد داوود أوغلو أُسسها الفكرية متماهياً مع أنماط يجدها إنموذجا مُلائما ومُؤاتيا لبلاده ، على سبيل المثال يرى أوغلو أن الاختلاف بين الخطوط الامامية الجيو سياسية المُعبرة عن الذهنية الاستراتيجية الالمانية ، المُرتبطة بالهوية الألمانية وتاريخ الامبراطورية الرومانية ـ الجرمانية المُقدّسة ، وبين واقع الحدود الألمانية القانونية الفعلية ، قد تسَبب في حدوث حربين عالميتين في الماضي . في المُقابل ، كان هذا الإختلاف نفسه أحد أهم العوامل التي سببت تكوين الإتحاد الاوروبي بالطرق السلمية بعد الحرب العالمية الثانية . وإستدلالاً ، ومن وجهة نظر أوغلو ، يتبين ان العنصر الاساسي ، الذي أدّى الى بروز الولايات المتحدة الاميركية كقوة عُظمى في المسرح التاريخي ، هو محاولتها المستمرة في التوسع الذي رسمت معالمه في القرن التاسع عشر عن طريق التحرك من عمق المحيط الاطلسي حتى المحيط الهادي ، لتحويل الخط الامامي الجيو سياسي الى ساحة سيادة قانونية سياسية . وهكذا يتبدّى بوضوح أن تركيا تحاول ان تكون قوة إستعمارية توسعية بالمنطقة على حساب الحدود القانونية لدول المشرق العربي وروسيا وباقي البلاد العربية .

إن قراءة سياسية للأهداف التي سعت إليها تركيا تحت غطاء حزب العدالة والتنمية وتجربة الإسلام المعتدل الذي حقق نجاحات إقتصادية وهمية ومُفتعلة ومُخططاً لها لإكساب هذا النموذج مصداقية تُجيز له تعميمها كجواز مرور لمشروعه المشبوه ، نجدُ أن تعثُرا واضح المعالم بدأت نتائجه المباشرة تنعكس على القرارات التركية التي يمكن وصفها بالمُنفعلة والمُتخبطة والفاقدة لإي عمق إستراتيجي ، أكان في الفكر السياسي للدولة أم في إسلوب مُعالجتها وتصديها للأحدات والوقائع والتحديات والمُتغيرات الجيو إستراتيجية والجيو سياسية الإقليمي منها والدولي . واقع تركيا الراهن ، هل لا زال يحتمل إستمرار العدالة والتنمية في السلطة ، أوغلو وأردوغان تحولا الى مصنع أزمات مصيرية والمُجتمع التركي يواجه نتائجها وحيدا ، أصبح الشعب التركي يعيش في مناخ مُعادي تماماً ، فعدا عن مذبحة الارمن ، تتدهور علاقة الدولة الإكثر مرضاً مع العراق وإيران وروسيا وسوريا ، وتتنافس على النفوذ السنّي مع مصر والسعودية ، وهي مُهددة مذهبيا بالقوى الوهابية والتكفيرية ، ما بات يؤشر لحتمية قيام إنقلاب يُقصي العدالة والتنمية عن السلطة لتبوؤه صفة الحكومة الاسوأ في تاريخ تركيا القديم والحديث ، وهذا كلام علني في الصحافة التركية ، خاصة بعد ان بدأت معالم الركود الإقتصادي التجاري والصناعي تشهد تقلص وتراجع الاسواق التي كانت مفتوحة قبل الاحداث السورية .

في الخُلاصة ، لا يمكن تجاهل النتائج التي ستترتب من جرّاء شعور الحكومة التركية بالخيبة ، والتصرفات التي يمكن ان تُقدِم عليها حكومة أردوغان الواقعة تحت تأثير الوحدة إذا لم نقل العزلة التي وضعت نفسها فيها بسبب عدم قدرتها على قراءة عناصر الازمة والصراع الدوليين ، بالإضافة الى سقوط أحلامها بأن تكون دولة ذات خطوط إستراتيجية أمامية كما أوهمها أحمد داوود أوغلو ، وعاشت في وهم حلم توسعي سقط في الإصطدام الاول مع المشرق العربي .

استباقاً لحرب اسرائيلية على الجنوب :
المتحدات البشرية بدلاً من الجيوش

استباقاً للحروب الأسرائيلية على جنوب لبنان وضع إميل عكرا دراسة تحدد معالم المنطقة وطبيعة الحروب التي يمكن أن تواجهها وطريقة مواجهتها مقترحاً وسائل وأساليب حديثة وعصرية وتنسجم مع واقع المنطقة وفي مجتمع يعاني من المشاكل البنيوية والأقتصادية والإجتماعية

إميل عكرا

خريف 1971 و عند بدء الدورة الأولى لنيل شهادة الدراسات العليا في الهندسة المعمارية للسنة الجامعية -1971 1972 في معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية، تقدّم أحد الطلاّب بموضوع يقترحه للتوسّع و الدفاع عن صلاحه للحصول على الشهادة. كان الموضوع جدلياً بامتياز إذ كان يقسم اللبنانيين بقوّة، فأكثريتهم لم تكن تؤمن بلبنان القوي المحارب المدافع عن حقوقه و مصالحه بكلّ الوسائل المتاحة، بل كانت تؤمن بلبنان المسالم الكامنة قوّته بضعفه و المسلّم أمره للأمم المتحدة و حمايتها لحقوق الإنسان و لحقوق الدول. و للأسباب عينها قسم الموضوع أساتذة الدبلوم أنفسهم، ذلك أنّ الموضوع كان «شبعا، ضيعة حدودية دفاعية مقاوِمة» فاحتارت أكثرية الأساتذة و دار نقاش حاد حول الموضوع الذي لا يطرح مشكلة إعـادة إعمار ما خرّبته الحرب بل أنّ الموضوع هو كيف نفكر في موضوع تنظيم المتّحدات البشرية و كيف نتعاطى مع العمارة في مجتمعٍ موجودٍ في حالة حربٍ دائمة، تستنزفه و هو غير قادر على الدفاع عن نفسه بالوسائل المعروفة، كالجيوش النظامية، المعتمَدة في كلّ دول العالم.

كانت منطلقات البحث في الموضوع هي التالية:

1- متّحداتنا في جنوب لبنان، من مدن و قرى و دساكر، موجودة في خطر دائم، فالعدو المباشر، الصهيونيون المحتلّون فلسطين و البانون فيها دولة قوية عدائية، يعتدون علينا بسبب و بغير سبب فيقصفون و يقتلون و يهجّرون دورياً جاعلين الجنوب بأكمله في حالة لاإستقرار دائم، ينتج عنه لا إستقراراً دائماً في لبنان كله.

2- الدولة اللبنانية مفككة بسبب بنيتها الطائفية، و ضعيفة بسبب تفككها و اتّكالها على القوانين الدولية و المنظّمات العالمية التي ابتدعتها الدول القويّة للسيطرة على الدول الضعيفة بوسائل ناعمة. و الحكم في الدولة اللبنانية تألف منذ الانتداب الفرنسي من عصابة من الأوليغارك (Oligarques) عابرة للطوائف و للمهن و للمناطق، قصيرة النظر، ليس لديها فكر استراتيجي، و لا همّ لها سوى الحفاظ على مصالحها الذاتية و تنمية هذه المصالح على حساب قوت الناس و موت المجتمع.

3- المجتمع اللبناني حالة هجينة تتنازعه عوامل عديدة إيجابية تشدّ أواصر وحدته نذكر منها تداخل مركّباته الطائفية عضوياً، فأكثرية متّحداته تضمّ أكثرية طوائفه؛ و نذكر منها حياة مشتركة امتدّت مئات السنين وَحَّدَتْ كثيراً من العادات و التقاليد و بَنَت مصالح إقتصادية و إجتماعية مشتركة؛ و نذكر منها أيضاً ثقافة مشتركة مبنية على تراث مشترك من الأدب و الفكر و العمارة و الفنون، و نذكر أيضاً، و قد يجدر بأن يكون أوّلاً، أرضاً مشتركة ذات جغرافية متشابهة على تنوّعها، تحوي ثراوات متشابهة على ضحالتها.

4- لكنّ المجتمع اللبناني الهجين هذا تتنازعه أيضاً عوامل سلبية خطيرة تفكّكه و يسعى بعضها إلى تدميره، و نذكر من هذه العوامل ما يلي: تعدّد الأديان و فهمها لنفسها نقيضاً بعضها لبعض، و هيمنتها على الحياة بأكثرية مجالاتها الاجتماعية و الثقافية و خاصةً السياسية؛ و انغلاقها على ذاتها محتكرة، كلّ لذاته، الحقيقة الكبرى الشاملة النشوء و المسار و الآخرة. و من ثمّ تعدّد الطوائف ضمن الدين الواحد، ذلك أنّ الدين؛ و مهما عظُم جبروته و جعلت منه عالميته شأناً متسامٍ عن شؤون البشر، يبقى في النهاية منظومة وضعية يُعمِل فيها الإنسان عقله و عواطفه و يحلّل و يجتهد و يرسم أنماطاً من السنُن و النواميس تختلف عن بعضها بحسب الظروف و المعطيات التاريخية و الجغرافية و الثقافية؛ و يكفي عندها اعتداد الإنسان بنفسه بامتلاك كلّ الحقيقة وحده، حتى تكثر الطوائف و تكثر المذاهب و تصبح خصومتها و عداوتها في أكثر الأحيان شأناً إنسانياً طبيعياً لم يستطع الإنسان تخطّيه بعد. و إذا انتقلنا إلى الخلاف السياسي الحاد المسيطر على الحياة العامة نجد، و دون تطوال، أنّه ينتقل بسرعة إلى عداء بسبب الأنانية المفرطة و انعدام الشعور القومي الذي يوحّد الأهداف الكبرى و يخلق قناعة بوحدة المصير و يخلق قوّة جماعية كبرى تعود في ظلها الخلافات في وجهات النظر لتأخذ مكانها الطبيعي و حجمها النسبي في الحياة العامة. و إذا ما استعدنا حقيقة هيمنة الدين و الطائفة على آليات هذه الحياة العامة، نجد كيف أنّ المخطىء و المجرم المنتمي حكماً إلى طائفة ما يستحيل مساءلته و محاكمته إذا ما تسلّح بانتمائه الطائفي و انتصرت له طائفته و اعتبرت محاكمته تَجَنٍّ على الطائفة بأكملها... هذا ما يحدث في لبنان دائماً عندما تكون الجريمة كبيرة تطال الوطن و الناس و الأمّة. و قد لا يكون هنالك حلّ لهذه المعضلة في بلد كبلدنا إلاّ بالقناعة الشاملة عند كلّ مكوّنات شعبنا بأنّنا «كلّنا مسلمون؛ منّا من أسلم لله بالإنجيل و منّا من أسلم لله بالقرآن و منّا من أسلم له بالحكمة « فنحسم بذلك خلافنا على السماء و ننتقل لمواجهة تحدّيات وجودنا على الأرض : إنّ مواجهة هذه التحدّيات يصبح أهيناً، فإعمال العقل في هذه المجالات كفيل بالتغلب على جميع الصعوبات.

لكلّ ذلك، و لأسباب عديدة أخرى متفاوتة الأهمية لا مجال لذكرها الآن، انطلق الطالب المذكور بتحدّيه النظري للواقع القائم، معتبراً أنّ العبور إلى «مجتمع جديد» بحاجة إلى نظريات في كافة شؤون الحياة و على رأسها الأمن و الدفاع؛ و بما أنّ مسألة مزارع شبعا و احتلال الكيان الصهيوني لها و عدم تمكّن الأهالي من الوصول إليها و استعمالها، كانت أصبحت في واجهة الأحداث، و بما أنّ قسماً كبيراً من جنوب لبنان، أي شمال فلسطين كان قد أصبح «أرض فتح/ فتح لاند» بتخلٍ واضح من الدولة اللبنانية عن القيام بواجباتها بالدفاع عن جنوب أرض الوطن و أهله، فلقد شكّلت هذه الحالة الإطار المناسب لطرح المشكلة الأساسية، ألا و هي كيفية الدفاع عن أنفسنا في ظلّ جميع هذه المعطيات و التي تختصر تحت عنوان أنّنا أمام «حرب وجود لا حرب حدود» ، و أنّنا لا نملك دولة تدافع عنّا و أنّه علينا أن نتدبّر أنفسنا بأنفسنا.

- المعطى الأوّل في هذه النظرية هو أنّ لبنان كله في حالة حرب ممّا يقتضي أن يكون الجنوب بأكمله ساحة قتال مباشر، و المنطقة بين بيروت و صيدا و كلّ البقاع الغربي ساحة قتال مداور، و بيروت و ما تبقى من لبنان ساحة دعم دائم.
- المعطى الثاني هو أنّ القتال الأساسي على أرض المعركة هو من مهمّة الأهالي سكّان المتّحدات، فهو قتال شعبي يقوم السكّان المدرّبين بفعله، فيحوّلون المنطقة بأكملها إلى ساحة قتال يضطرّ العدو إلى الدفع بأعداد كبيرة من مشاته للتمكن من السيطرة على الأرض و بذلك يضطرّ إلى الالتحام المباشر ممّا يعطّل إمكاناته التكنولوجية المتحكّمة بأرض المعركة عن بُعد، و يعطّل حكماً تفوّقه القتالي: إنّه أسلوب المقاومة.
- المعطى الثالث هو أنّ الحياة العامة يجب أن تبقى طبيعية في كافة المناطق المُشار إليها و خاصة في الجنوب ساحة القتال المباشر. و ذلك يقتضي بيئة مبنية طبيعية و بيئة مدينية طبيعية. سنة 1972 كانت أكثر متّحداتنا في الجنوب لا تزال جميلة،

الحكم في الدولة اللبنانية تألف منذ الانتداب الفرنسي من عصابة من الأوليغارك) Oligarques (عابرة للطوائف و للمهن و للمناطق لا همّ لها سوى الحفاظ على مصالحها الذاتية على حساب قوت الناس و موت المجتمع

فهي متجمّعة على بعضها و غالباً تحتلّ قمم الهضاب و التلال. و لم يكن الباطون البشع الأبله يومها، أي سنة البحث، قد غزا ريفنا، و أمّا الباطون الجميل فكان شبه مجهول هناك و كان يحاول دبدباته الأولى في العاصمة و في بعض المصايف و المدن الصغيرة. البيئة الطبيعية إذن و البيئة المبنية المنظّمة هما الشرط الأوّل و الحاضنة الأساسية لكلّ حياة طبيعية في مجرياتها الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية و بالتالي الردعية. إذن نحن في مفهوم يتناقض كلياً مع مفهوم الكيبوتز، فالموضوع هو تحويل متّحداتنا نفسها من خلال تعديلات نوعية و إضافات ملائمة إلى متّحدات طبيعية الحياة أيّام السلم و جاهزة للدفاع عن نفسها أيّام الحرب.

- المعطى الرابع يعرفه المضطلعون و العارفون بالموضوع، و قد أكّده أحد ضبّاط المقاومة الفلسطينية يومها ، و هو أنّ

الجيش اللبناني، و رغم التفوّق الكاسح للجيش الإسرائيلي، يستطيع أداء دور كبير و مؤثّر في أيّ حرب قادمة في حال تحوّلت قواعد القتال باتّجاه اعتماد قواعد قتال المقاومة الشعبية؛ ذلك أنّ باستطاعته إعاقة و حتى وقف تقدّم أرتال المدرّعات عند أعناق المحاور الجبلية المضطرّ إلى سلوكها، و بذلك يكون قد أجبر العدو إلى الدفع بمشاته إلى أرض المعركة، و هذا هو المطلوب.

بعد هذا العرض المختصر للمشهد العام ينطرح السؤال حول الموضوع بشقين : الأوّل يتناول ما يجب عمله و صنعه و تعديله و إضافته حتى تتلاءم متّحداتنا مع مجمل التحدّيات المطروحة و

الجيش اللبناني يستطيع أداء دورمؤثّر في أيّ حرب قادمة في حال تحوّلت قواعد القتال باتّجاه اعتماد المقاومة الشعبية؛ عبر إعاقة أرتال المدرّعات عند أعناق المحاور الجبلية المضطرّ إلى سلوكها، و بذلك يكون قد أجبر العدو إلى الدفع بمشاته إلى أرض المعركة

تصبح جاهزة لرفع التحدّي الوجودي الذي يواجهنا، و الثاني يتناول كيفية تأسيس متّحد ريفي جديد في منطقة الصراع يؤمّن الشروط اللازمة لحياة طبيعية سليمة جاهزة للدفاع عن نفسها في ظروف النزاع و في ظروف الحرب. لقد اختار الباحث الإجابة على السؤال الثاني الذي يمكنه من عرض أوسع لمشاكل التنظيم و الترتيب و العمارة في مكان تقتصر معطياته على ما تفرضه الطبيعة. و لقد انطلق من قاعدة ذهبية اعتمدها الأقدمون و أهملها الحديثون و المعاصرون و هي القاعدة التي تضع حدّاً لحجم المتّحد، فلا يمتدّ و ينتشر غرائزياً بناءً على حاجات الأفراد و رغباتهم، بل يمتدّ و ينتشر عقلياً و بحكمة بناءً على نواميس الطبيعة و علم الاجتماع و مصلحة الأمّة؛ و عليه فإذا أصبحت تلبية حاجات النموّ السكاني في المتّحد و حوله مضرّةً بنوعية الحياة و بمزاياها و بتوازنها المادي و النفسي لجأ القيّمون على الموضوع إلى استحداث متّحدات جديدة قد تكون جارةً للأولى و قد تبتعد عنها جغرافياً حسب نواميس المدى الحيوي الذهبية أيضاً في أيّ مكان و لأيّ زمان.

إنّ الموقع الحالي لبلدة شبعا يتمتّع بمزايا و لديه عيوب. فإذا كان من مزاياه الإتاحة للبيوت التراصف متتاليةً بتوازٍ على المنحدر الشرقي للجبيل الذي يحمل البلدة فيحميها شتاءً من جهة الغرب و ينشرها من جهة الشرق أمام الشمس من الصبح و حتى منتصف بعد الظهر، فإنّ حرمان البلدة من الهواء المنعش الآتي صيفاً من الاتّجاه الغربي الجنوبي، الغالب على طول شاطىء المتوسّط الشرقي، يعدّ عيباً، خاصةً إذا أضفنا إلى ذلك حرمان البلدة أيضاً من غروب الشمس على أفق واسع مطرّز بالهضاب المتمايلة بدلال و المنحدرة غرباً نحو البحر. و إذا كان اصطفاف الأبنية على طول الشوارع المتوازية بحسب انحدار أرض الموقع من الغرب إلى الشرق هو من طبيعة التركز على المنحدرات، فإنّ اتّجاه هذا التركز من الجنوب إلى الشمال حسب اتّجاه الوادي الذي تحتلّ البلدة منحدره الغربي يحمل عيبين؛ الأوّل طبيعي دائم يتمثّل بانفتاح الوادي أمام الرياح الشمالية الباردة و المؤذية شتاءً، فالبلدة تقع على ارتفاع ألف و خمسماية متراً عن سطح البحر؛ و الثاني جَدَلي آنيّ يتمثّل بانفتاح الوادي جنوباً أمام الرصد الإسرائيلي المباشر من الجبال الجنوبية المحتلّة حيث المعابر نحو مزارع البلدة و حيث أملاك سكانها و جزء كبير من مصادر إقتصادها. أنّ الناظر إلى البلدة من تلك التلال و المعابر يراها بأكملها تمتدّ أمامه و تنساب شمالاً منفلشةً أمام القنّاص المتحكم بأقلّ حركة تحدث في أحياء البلدة بسلاحه المتوسّط حيناً و بسلاحه الثقيل حيناً آخر؛ تقع البلدة إذن تحت نظر العدو و تحت مرمى كافة أسلحته التقليدية ممّا يخلق لها حالة من التوتّر الدائم الكافي لشلّ الحركة فيها و تعطيل الحياة اليومية.

أنّ الموقف المبدئي من موضوع الموقع هو الاحتفاظ به حيث هو، فالأمكنة المختارة لمواقع قرانا و بلداتنا منذ تواريخ قد تقصر إلى قرن أو أقلّ أو تطول إلى ألفيةٍ أو أكثر، أثبتت الأيّام صلاحها و غالباً جودتها. فلا حاجة إلى تغييرها، بل يجب التمسّك بها فهي تحتضن بجغرافياتها المتنوِّعة فرادة شخصياتها المنحوتة من حياة ناسها فيها؛ و هي شخصيات تنمو مع الزمن و تتغيّر من خلال أصحابها باثقة عليهم هذه الصفات الخاصة المكانية الصابغة بلطافة تلك الصفات العامة المتولِّدة من جغرافية مكان و سكان المدى الحيوي للأمّة. لكن خروجاً عن هذه القاعدة قد يطرأ في بعض الأماكن بسبب عطل في الموقع لم يكن ظاهراً أو مؤثراً عند التأسيس و تمّ تخطّيه لأسباب عديدة، فأتت تطوّرات لاحقة أدّت إلى ضرورة إعادة النظر. و مهما يكن من أمر الجدال حول صوابية اختيار موقع آخر لتركز المتّحد الجديد فإنّ الأهمية الفعلية للمقترح تكمن ببنيته النظرية الصالحة بشكل عام لكافة الأمكنة التي نضطرّ فيها لاختيار موقع جديد لمتّحد موجود أو إنشاء متّحد جديد لضرورات النموّ السكاني و لحاجة الانتشار.

إنّ الموقع الجديد المقترَح لشبعا الجديدة هو المقلب الآخر للجبيل الذي يحمل شبعا القديمة؛ أنّه المقلب الغربي لهذا الجبيل حيث تنحدر الأرض غرباً بحدّةٍ أقلّ ممّا هي عليه في المقلب الشرقي، و حيث المساحة تنبسط مثل كفّ اليد ملامسةً الطريق العام عند أوّل منعطف قوي يسبق الوصول إلى البلدة الحالية. و قد يكون من المناسب تسمية الموقع الجديد «جديدة شبعا» لمحاذاته شبعا الموجودة و اعتباره الامتداد الطبيعي في الزمان و المكان للكائن الطبيعي الحيّ الأوّل. يتميّز الموقع الجديد بانفتاحه التام على الأفق الغربي من أوّل شماله إلى آخر جنوبه، و هو ذو انحدار أخفّ من انحدار الموقع القديم، و يشكّل خط القمّة فيه الممتدّ من الشرق إلى الغرب مروراً بالجنوب خطّ دفاع طبيعي في مواجهة العدو، فتبدو البلدة و كأنّها محتمية في حضن كفٍّ يدير ظهره لمصدر القلق؛ و إذا كان التعرّض لريح الشمال لا زال موجوداً فإنّ هذا الريح لم يعد يصفر من خلال وادٍ يشكّل مضيقاً تتضاعف فيه قوّة الريح المؤذية؛ و إذا أضفنا إلى كلّ ذلك تشكّل طبيعة الأرض من الصخر الذي تتخلّله فجوات من التراب، و هي طبيعة ملائمة للبناء و للتشجير حوله، أصبح عندنا موقعاً جيّداً يصلح للاستيطان، عنده إمكانيات العودة إلى بيئة خضراء رطبة بعد البنيان و لا يحتلّ أرضاً زراعية تشكّل عندنا، و بسبب ندرتها، ثروة نادرة حرام التفريط بها.

يشكّل اختيار الموقع للمتّحد الجديد المرحلة الأولى من عملية الاستيطان، و عندها ينطرح السؤال الثاني المتعلق بكيفية التركّز فيه و توزيع الحيِّزات حسب الوظائف و تحديد أمكنة السكن و العمل و الترفيه و غير ذلك من الحاجات العامة كالإدارة و العبادة و التجمّع و غيرها؛ و فيما يلي تبيان مختصر لهذه العملية :

-1 اللوحة الأولى تبيّن أنّ المنشآت تجانب الطريق العام الذي يصل البلدات ببعضها، فلا تعرقل حياة البلدة الداخلية حركة المرور فيما بين البلدات، و تتحرّك هذه الحياة حول شبكة الطرق و الساحات العامة الخاصة بالبلدة و التي تهيكل بنيتها كما تهيكل الأضلاع أوراق الشجر. يتمّ الدخول إلى مركز البلدة من خلال موزِّع صغير مثلّث الأضلاع يؤمّن انسياب المرور دون عرقلة. و يحيط بمركز البلدة شارع دائري يحصر ضمنه المنشآت العامة كالبلدية و مكتب الشرطة و المركز الثقافي الاجتماعي و الجمنازيوم و المستوصف المعزّز و الحمّامات العامة و المعابد و المحالّ التجارية. و تحيط بهذه المنشآت حديقة عامة يحتلّ قسماً منها بحيرة اصطناعية تؤكّد تقليداً قديماً في أكثرية بلدات الجنوب حيث البركة المتعدِّدة الوظائف تحتلّ وسط البلدة. تشكّل البحيرة رمزاً مهمّاً للحياة التي بحاجة إلى الدفء كما و للرطوبة، و إذا ما اعتمدنا زرع الأشجار الباسقة الكبيرة الحجم و الارتفاع بدل الشجيرات التي تغزو المساحات الضئيلة المخصَّصة لذلك في مدننا و قرانا، نستعيد الحيّز العام المظلّل المنعش الذي كان عندنا في الماضي بدل الحيِّزات العامة الصحراوية المنتشرة اليوم في كلّ ←

متّحداتنا. في متّحداتنا اليوم يتراءى للمراقب أنّ الناس نسوا أنّنا في بلد الشمس الطاغية خلال ثلثي السنة و أنّ الثلث الثالث لا تغيب عنه الشمس إلاّ قليلاً. أنّ جوّاً منعشاً و مريحاً كما يؤمّنه الترتيب المذكور في المقترَح يخلق جوّاً من الإلفة و من التفاعل و من الزخم يعيد للأمكنة العامة وظيفتها الأساسية ألا و هي التلاقي و الحوار و التفاهم...

تبيّن اللوحة الأولى أيضاً شبكة الطرق التي تنطلق كلّها من الشارع الدائري و من الشارع الأساسي الصاعد باتّجاه المنطقة العليا بانحدار لا يتجاوز العشرين بالمائة، فتسلكه السيّارات بسهولة و تتفرّع منه الشوارع التي تغذّي الأحياء الثمانية التي تشكّل كامل المتّحد. تنساب هذه الشوارع متوازيةً مع الأرض فليس فيها سوى انحدار خفيف و تتقاطع معها شبكة أخرى من الطرق و المعابر تتقاطع هي الأخرى مع انحدار الأرض و هي بغالبها أدراج منحدرة تختصر المسافات و تصل الأحياء ببعضها من خلال «آدوميّات» يسلكها المشاة فقط. تمرّ طرقات السيّارات الثانوية ذات الانحدارات الخفيفة في ساحات الأحياء، و هي ساحات فرعية صغيرة الحجم تعطي لكلّ حيٍّ حيِّزه العام حيث سبيل الماء و السنديانة الباسقة و المقاعد المتحلّقة حول الساحة حيث التجمّعات الصغيرة في المسايا حول فنجان قهوة أو كوب شاي و حيث يطيب السهر في الليالي المقمرة. و تكمل طريق الحيّ مسارها لتصل إلى القمم الصغيرة التي تشكّل نوعاً من الحاجز الطبيعي حول المتّحد حيث أبراج المراقبة التي تسلّط عيونها و آذانها صوب الأرض المحتلّة.

و تبيّن اللوحة الأولى أيضاً اتّصال الطريق الأساسي المنطلق من مركز المتّحد، و الذي يشكّل العامود الفقري للشبكة، مع الطريق العام عند أقصى شرق المتّحد، و هو اتّصال يغذّي منطقة الصناعة الخفيفة المركّزة قرب زرائب الماشية و قرب حاويات العلف و قرب مستودعات المنتجات الزراعية التي تشكّل المادة الخام لتلك الصناعات الخفيفة و قرب مرائب الجرّارات و الناقلات و أدوات الإنتاج على أنواعها. و دون أن يغرب عن بالنا أنّ حجم هذه المنشآت هو متناسق مع حجم البلدة و أنّ هذا الإنتاج يشكّل الرديف الذاتي العائلي المتواضع للفلاحين من السكان، نشير إلى أنّ المكان مجهَّز ببحيرة إصطناعية متوسّطة الحجم تحيط بها غابة من الأشجار، تخدم هذه الأعمال مضيفةً إلى المكان روعة الحياة الحيوانية الطبيعية إذ تصبح محجّاً للطيور البرّية كما و موئلاً للطيور الأليفة.

-2 اللوحة الثانية تبيّن، برسم مبسّط، شبكة الطرقات الأساسية الصالحة للسيّارات و مركز المتّحد و منشآته و بحيرته و ساحات الأحياء و فكرة عن انتشار الحارات حولها و منطقة التصنيع الزراعي الخفيف و بحيرته و نهايات الطرقات مع مراصدها و المربّع الذي سيتمّ درسه و اقتراحه كنموذج لما ستكون عليه ساحات الأحياء و كيفية التجمّع حولها.

-3 اللوحة الثالثة تبيّن قلب الحيّ المُشار إليه في اللوحة الثانية بالمربّع الداكن. يمرّ الشارع العام ذو الانحدار الخفيف في ساحة الحيّ تاركاً القسم الأكبر منها في الجهة العليا حيث سبيل الماء و بعض المدرّجات المحيطة به و المشرفة على القسم الأسفل بحيث تبقى إمكانية تحويل المكان إلى مسرح شعبي متاحة لأكثر من مناسبة بينها إحتفال بعرسٍ أو احتفاءً بولادة أو تكريماً بنجاح أو إحياءً لتقاليد شعبية محلية أو عائلية. يتفرّع من الساحة دروب منها المنحدر و منها المتدرِّج تغذّي الحارات المركّبة أيضاً بتدرّج يتطابق و يستفيد من انحدار الأرض. تنساب الطرقات الفرعية و الأدراج حول الحارات بحيث تؤمّن الوصول إلى مكوّناتها من كافة الجهات، و هي مسارات مكوّنة من طبيعة الأرض و مُحاطة باخضرار كثيف يتدرّج من المساحات المعشوشبة إلى الأشجار الكبيرة الباسقة التي تؤمّن الظلّ في جميع الاتّجاهات فيصبح السير في البلدة من متعات الحياة فيها. ويشكّل تلاصق البيوت المتعدِّدة الأشكال في تركيب الحارات كما و يشكّل تركّز الحارات المتنوِّع و المتلائم مع طبيعة الأرض و تضاريسها، خروجاً قوياً عن الرتابة التي تطبع المجمّعات السكنية المستحدثة. فالمنظورات المتغيِّرة باستمرار و حجم الفراغات المتعدِّد و تنوّع المجالات و المسارات يخلق جوّاً من الجدّة و من البهجة المقرونة بإندهاش فرح. في هذه الحيِّزات لكلّ زاوية خاصيتها و لكلّ منعطف مكتشفاته المتمثلة بأحجام الأبنية و تضاريسها و الكتل الخضراء و ألوانها المتعدِّدة و ألاعيب الظلال على الواجهات و ظلال الأبنية و الأشجار على

يشكّل تلاصق البيوت المتعدِّدة الأشكال في تركيب الحارات والمتلائم مع طبيعة الأرض و تضاريسها، خروجاً قوياً عن الرتابة التي تطبع المجمّعات السكنية المستحدثة

الأرض و فيما بينها. لكنّ اكتشاف أسرار هذه المسارات المتعدِّدة يبقى حكراً على أبناء البلدة وحدهم و على قلّة من زائريها الدائمين من أقارب و أصدقاء، لأنّ الوضع يتغيّر كلياً عندما يحاول الغرباء اقتحام المكان، إذ يتحوّل عندئذ إلى متاهة تسهّل على المدافعين، و هم أهل المكان، الدفاع عنه بوجه محتلين أعداء يتحوّلون، بسبب تعقد المكان، إلى صيد سهل في مصيدة أعدَّت لهم سلفاً. إنّ بلدة كهذه تستطيع الصمود و الانتصار في حرب شوارع على عدد من الأعداء مماثل لعدد المدافعين عنها... و تبيّن اللوحة الثالثة أيضاً مداخل الملاجىء المُشار إليها بالمربّعات الصغيرة و التي تتواجد في أحواش الحارات و تؤدّي كلّها إلى ملاجىء جماعية كبيرة مطمورة على أعماق مناسبة كما سيظهر في اللوحة الخامسة؛ و تتحوّل هذه المخابىء عند الالتحام المباشر إلى كمائن تتيح للمدافعين الانقضاض على المهاجمين من كافة الاتّجاهات.

-4 اللوحة الرابعة تبيّن نفس منطقة اللوحة الثالثة مرئية من الجو، و القصد منها تبيان اختلاط حدود البناء مع حدود الجنائن المحيطة عندما تكسو الخضرة كامل المساحات، ذلك أنّ أسطح البيوت و المباني مترّبة و مزروعة و هي بذلك تؤمّن عازلاً جيّداً لداخل المباني و منظراً جميلاً و محيِّراً من الجو؛ و قد لا يستطيع التمتّع به سوى ساكني المناطق العليا في البلدة، و المتواجدين على قمم الجبال المحيطة و من الأمكنة البعيدة المشرفة. أنّه بلا شك منظر طبيعي جميل ينحشر في الطبيعة بتآلف محكَم و بتناغم تام. و تظهر أيضاً في هذه اللوحة الدوالي التي تظلّل الشرفات أمام مجالس البيوت، ذلك أنّ الدالية (العريشة) تشكّل غطاءً ملائماً للشرفات في الأرياف، فهي مكتسية بالأوراق و العنب من منتصف الربيع حتى منتصف الخريف، فتؤدّي بذلك وظيفة التظليل من الشمس و وظيفة إنتاج أحد أطيب الفواكه، و هي معرّاة في النصف الآخر من السنة و خاصةً في فصل الشتاء حيث تلعب أشعّة الشمس دوراً بارزاً في تدفئة البيوت، فتدخل إليها و تؤدّي واجبها.

-5 اللوحة الخامسة تبيّن، و من خلال مقطع عرْضيّ باتّجاه الانحدار، اصطفاف المباني و تدرّجها و الاستفادة من الانحدار لجعل التلاصق مفيداً و جميلاً و غير مضرٍّ بخصوصية الحياة العائلية. يبيّن هذا المقطع مدخل أحد الملاجىء و موقعه داخل حوش إحدى الحارات و عمق هذا الموقع و اتّصاله المطمور مع ملجأ آخر في حال دمِّر المدخل بالقصف. تتّصل الملاجىء كلّها ببعضها مخافة تعرّض مداخلها للتدمير نتيجة القصف المدفعي أو خلافه؛ و هي مجهَّزة حسب الأصول، ذلك أنّها تشكّل الملجأ الآمن للسكان غير المؤهّلين للقتال من نساء و أطفال و شيوخ. يبيّن الرسم أيضاً كيف يشكّل سطح بيتٍ ما، مترّب و مزروع، الشرفة المظلّلة بالدالية للبيت الذي يعلوه منسوباً دون أن يكون فوقه؛ و يبيّن أيضاً موقع طمر خزّان المازوت و وسيلة تغذيته و مسار وصول المحروقات إلى الحارة التي يغذّيها، ذلك أنّ خزّان حارةٍ ما يقع تحت مساحةٍ عامة ترتفع عن موقع الحارة ما يكفي لإيصال المازوت إليها بواسطة الجاذبية، ذلك أنّ الاستغناء عن الوسائل الآلية في هذه الوظائف هو القاعدة السليمة الأساسية كون هذا الاستغناء يحرِّرنا من التبعية للآلة خاصةً في الظروف الصعبة. إنّ الواجهات الظاهرة خلف الأبنية المقطوعة هي مطابقة لمسطّح المنطقة التي عرضناها في اللوحتين الثالثة و الرابعة، و هي تعبّر فعلاً عن واقع الحال المرسوم و تعطي بالتالي فكرةً عن مظهر الحارات و عن التداخل و الترابط المتناغم فيما بين المساحات و الآحجام.

-6 اللوحة السادسة، و من خلال مقطع طولي يمرّ في وسط الطريق و في قلب ساحة الحيّ الذي بيّناه في اللوحتين الثالثة و الرابعة، تبيّن واجهة هذا الحي كما يراها مَن يستعمل هذا المسار. و هي مطابقة فعلاً لتسلسل الحارات فوق الطريق، و بالتالي فهي أيضاً تعطي فكرةً عن التداخل و الترابط المتناغم المُشار إليه سابقاً.

تشكّل اللوحات من السابعة حتى الحادية و العشرين توسّعاً في مقترحات مسطّح الحارات و البيوت التي تؤلفها كما و لمقاطعها و واجهاتها، و تقترح مواداً للبناء و كيفية بنيانها؛ كما و أنّها تقترح تنظيماً للغرف و توزيع الوظائف داخلها و كيفية التدفئة شتاءً بوسيلة متعدِّدة الوظائف تؤمّن الطهو أيضاً و المياه الساخنة. كلّ ذلك بهدف الاستفادة القصوى من معطيات المواد و بأقلّ تكلفة ممكنة و بهدف تأمين أكبر قدرٍ من الراحة انطلاقاً من قاعدة الـ «Optimalisation» الذهبية في كلّ مكان و زمان.

أواخر حزيران سنة 1972 نجح ذلك الطالب بإقناع اللجنة التحكيمية بصوابية طرحه و نال شهادته و هو يتذكّر أمامكم الآن تلك الفترة الخصبة من تاريخنا المعاصر و يهنّىء نفسه و اللبنانيين خصوصاً و العرب عموماً و الأمم الحرّة في العالم بشكل أعمّ بهذه المقاومة الفريدة التي ردّت لنا اعتبارنا أمام أنفسنا أوّلاً و أمام العالم تالياً و عدنا بفضلها من صنّاع وجودنا و من صنّاع التاريخ.

جبيل في 13 تمّوز 2012

المعمار اميل العكرا،

رئيس هيئة المعماريين العرب

العبور الى الدولة على الدولة

نسيب الشامي

لا ابالغ اذا قلت ان الذين يتناولون مسألة بناء الدولة، العبور الى الدولة وكل هذه الديباجات المنمقة التي تنتهي بسيادة واستقلال الدولة، ما هي إلا إكذوبة المليون دولاركما يقول – القول اميركي – وأصحابها ليسوا إلاّ كذابين كانوا قد قبضوا المليون دولار فعلا «لا» وهماً وتم تسويقها خطباً على المنابر، وتواصلاً اجتماعياً عبر الانترنت.

ليس في لبنان من يريد بناء الدولة.

الفريق الأهم لا يريد بناء الدولة لاعتبارات حاسمة في المنطق

اولاً : لان بناء الدولة يلغي حضوره الذي تأسس على قاعدة غياب الدولة .

ثانياً : لأنه لا يثق بالدولة المقترحة لصيانة الحقوق والدفاع عن الارض والشعب والكرامات ، وبالتالي لا يثق بكل النماذج التي تشكلت في السابق حيث كانت الدولة على شاكلة المزارع وسيادتها لم تتأت إلاّ من خلال تقديم الدجاج دائماً للذئب المتربص فلسفة «قوة لبنان في ضعفه» .

ثالثاً: لأنه يدرك ان الدولة القوية القادرة في ظل نظام طائفي تحاصصي ليست الا شيكاً غير قابل للصرف.

الفريق الثاني في الأهمية المقابلة لا يريد الدولة ، لانه ليس وليدها الشرعي ولانه الوليد المستودع من رحم اللاشرعية فهو من انتج الفساد وعممه على الخلق والعباد، وشرعن الرشوة فأصابت الكبير والصغير، ووضع للسياسة والسياسيين أثماناً رفعت اثمان بعضهم ورخصت أثمان الآخرين، هم من أبطل فاعلية القضاء فأحمر وجه العدالة وقاحة لا خجلا، هم من غرفوا اسرار المسح الجيولوجي الفرنسي لباطن الارض والبحر، فأنتجوا بدعة الاقتراض وكارثية الدين العام. هم من اخذ بيد الطائفية الى جحيم المذهبية. هم من اسقط فلسطين وقضيتها المركزية من قلوب ابنائها التاريخيين وأستقدم مقولة «بدنا نعيش» ومقولة الفرح والحياة على وقع دوزنة روتانية فيها الكثير من الحرية والقليل من الحياء.

هم مع الدولة فقط اذا أمسكوا بمقدراتها و دينامية نهبها. هم مع الدولة اذا كانوا على رأس سلطتها ، والا فهم سواح – جوالون يتواصلون عبر الانترنت، والتويتر، تاركين الساحة السياسية في عهدة الاقحاح – وما أدراك ما الاقحاح ؟.

الفريق المسيحي الأقوى – ربما الوحيد الذي يريد الدولة وبناء الدولة – ودليلنا في سلوكيات وزرائه ونوابه ، واصراره على محاربة الفساد، وسرقة المال العام ، والشفافية الصادقة في التعاطي مع الشأن العام ، لقد أقام جداراً مكيناً في وجه الدولة – المرزعة ، دولة المحاصصة ، دولة النهب المنظم، وأخذ بيد الشرعية الكبيرة التي يتكلم باسمها الى موقع متقدم في السياسة – ورؤية واضحة في مسألة الصراع العربي الاسرائيلي – وتحديد العدو من الصديق، انه الفريق الصامد الصابر على كل آليات التعطيل، والتسويف، ووضع العصي في دواليب حركة الوزراء، في حكومة منذورة للتأجيل ، والجمود ، وعدم تحقيق الانجازات.

ولكنه ترك في جداره الممانع ، طاقة لنوابه المدعين بالواقعية السياسية ، ونظام لبنان الطائفي ،فأبدعوا في الدفاع عن الطائفية والنظام الطائفي ، وحصة هذا الفريق المتميز في قالب الجبنة الطائفي ، فكان ان وقع الخلل عند الانصار والمراقبين والمحبين، أو هل تحولت حصة الجنرال الوطنية الى حصة طائفية ، وغداً الى حصة مذهبية، وان كان فعلاً هذا هو الأمر فأين هي الصدقية؟ هل تم الغاؤها بالضربة القاضية؟ ضربة المصالح الطائفية التي تتقدم على مصلحة المجتمع – المجتمع كوحدة متكاملة المجتمع كمكون جامع شامل كل شرائحه ومكوناته وجماعاته.

الاقطاع الطائفي – المذهبي، السياسي ، لا يريد بناء الدولة ولا يريد الدولة، انه فقط مع النظام الطائفي في الدولة، اذا تعرض النظام الطائفي لخطر ما، فأمراء الاقطاع اول من يدك حصن الدولة . الدولة بنظرهم هي سياج لنظام المحاصصة الطائفية، هي الدرع الواقي من المراقبة والمحاسبة والمساءلة.

هي سيمفونية الابتزاز، لمقدرات الدولة ذاتها، وامكاناتها الاقتصادية والمالية، هي توليفة ماكر لصرف النفوذ، وفرض الارادات ، وتحويل ربحية الخير العام الى صناديق النفع الخاص ، الدولة بنظرهم ولدت بفرمان، وهبت الدولة والارض والعباد لمستحقيها للمستبدين والعواهر وحولت الناس الى مرابعين لا حول لهم ولا قوة. ليخرسوا حين يتكلمون عن الدولة ....

أوحين يتكلمون عن الشفافية والصدقية والديمقراطية) المستقلون ليسوا مع بناء الدولة.

بعضهم نظيف الكف وصادق، وأكثرهم من العسس ، وأكلة الجبنة إنتهازيون ، ينتقلون في المواقف والمواقع، على هدي مثالهم الصالح، إنموذجهم المستولد، المستحدث، من غفلة الزمن وهبوط السياسة ، وانعدام وزن الاخلاق.

لا أعرف احدً ....صادقاً. مع الدولة او مع بنائها اذا عرفتم وكنتم صادقين ، بربكم دلوني .

الصراع على غزة

سعاده ارشيد ـ جنين ـ فلسطين المحتله

كان محور المقاومة والممانعةهو المحرك الرئيس في الإقليم قبل الربيع العربي، وقد تمدد هذا المحور على شكل قوس قزحه الشرقي في أفغانستان وقزحه الغربي في غزة، مرورا بإيران والمقاومة العراقية وسوريا وحزب الله في لبنان, وبدا للمراقب أنّ هذا القوس (المحور) يتسم بالمناعة و التماسك، فأطرافه لا يرون لأنفسهم مكاناً خارجه. أما خصومهم فقد أطلقوا عليه أسماء عدة، أشهرها محور التطرف والهلال الشيعي، واتهموه بأن له غايات مذهبية شيعية وقومية فارسية, وهدفوا بهذا التهويل ممّا أسموه خطر الأطماع الإيرانية في المشرق العربي، وأخذوا يعيدون للذاكرة العربية معركة القادسية، وانهمكوا في التنقيب في كتب التاريخ عن قصص وحكايا لبعثها ونشرها ضمن هجومهم الفكري، من مثل قصة مقتل الخليفة عمر بن الخطاب على يد «أبو لؤلؤة ونادوا بضرورة الثار للخليفة الشهيد من أحفاد أحفاد «أبو لؤلؤة « أي من ايران، وفاتهم أن يطالبوا بالثأر لمن يقتل صباح مساء على يد (الاسرائيلي). ومضت خطاباتهم وأقوالهم ومقالاتهم تتحدث وكأن إيران هي من يقيم جداراً على أرض الضفة الغربية، وهي من يصادر أراضي فلسطينييها ويزرعها بالمستوطنات ويطارد الفلاح الفلسطيني ويمنعه من قطف زيتونه؛ أو كأن إيران هي من يعتدي على المسجد الأقصى ويهدد بهدمه وتدنيسه ويعتدي على المتعبدين فيه، وكأنها هي من يدنس سائر المقدسات الإسلامية والمسيحية من مساجد وزوايا وكنائس ومقابر ومقامات في طول فلسطين وعرضها.

مياه كثيره انهمرت في وديان الربيع العربي وملأت وديان الاقليم، فقد ضُرب البعض من أعضاء هذا المحور ولم يزل يُضرب, ويلُوح الأمريكيون والإسرائيليون بضرب بعضٍ آخر، بينما اختار فريق من الأعضاء السلامة بمغادرته لساحة المواجهة, فاستبدل برامجه ومصادر تمويله وأماكن إقامته, وقام باستدارة في رؤيته تجاه الصراع في الإقليم سواء تجاه الصراع مع (إسرائيل) أو مع داعميها.

يمكن في هذا السياق قراءة زيارة الأمير القطري لقطاع غزة، والتي وصفها مضيفوه بالتاريخية وبالشجاعة، وقالوا بأنها الزيارة الكاسرة الممزقة للحصار،دون الإشاره إلى أنها ما كان لها لتكون لولا الموافقة(الاسرائيلية) التي تم حسابها في موازين الفائدة السياسية، لا في إطار المجاملات والعلاقات العامة, وذلك في الوقت الذي كانت فيه البحرية الاسرائيلية تلاحق وتحاصر (وتقتحم فيما بعد) سفينة المساعدات الإنسانيه السويدية (أستيل)، والتي تقل 17 أوروبيا من جنسيات مختلفة، ولا تحمل لغزة إلا مقادير رمزية من الأدوية وحليب الأطفال.

لقدجاءت زيـارة أمير قطر في سياق دعم فريق فلسطيني على حساب فريق فلسطيني آخر, خاصة وأن الفريق الفلسطيني المدعوم قطرياً يتم دفعه بعيدا عن محوره القديم, محور المقاومة والتي كان أحد ركائزها، ومن أجل التقدم في مواقف مساوِمة لا مقاومة تنسجم مع السياسات القطرية المعلنة تجاه اسرائيل ايجابا وتجاه سورية والمقاومة سلبا . الامر الذي آتى أوكله في خطابي الشيخ اسماعيل هنيه في حضرة الامير ثم في خطبة العيد التي طالب فيها النظام السوري (الظالم بكف يده عن الشعب السوري وعن مخيمات اللجوء الفلسطيني) وللتذكير كان قد سبق الشيخ هنية رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بنداء طالب به حجاج البيت العتيق بالدعاء على كل من إيران , روسيا والصين بسبب دعمها للنظام السوري (المجرم) غافلا عن اضافة الدول الداعمة (لاسرائيل) الى قائمة المدعو عليهم .

هكذا تريد اسرائيل , وتريد من قطر ان تدفع غزة للقبول بالهدنة غير المحكومة بزمن او ظرف , تريد التزاما غزيا بمنع ومعاقبة المقاومين ومطلقي الصواريخ , تريد تفكيك البنية العسكرية والقتالية للقطاع ,و تريد ايضا تعميق الانقسام الفلسطيني الفلسطيني لا حبا بهذا الفريق ولا كيدا للفريق الآخر وإنما لعدم عودة الضفة وغزة جسدا واحدا بالمعنى السياسي والإداري وبقيادة واحدة.

معرض

واقعية مع رمزية أيقونية:
«شجرة العائلة» معرض لريم الجندي في «جانين ربيز»

تعرض الفنانة ريم الجندي في غاليري جانين ربيز حتى نهاية تشرين الأول (أوكتوبر)، مجموعة أعمال موضوعاتها متنوعة الهويات الثقافية، لكنها متوحدة في الطابع والعنوان: «شجرة عائلة"، عنوان يجمع بين أصول الولادة الأولى منذ حواء وآدم، إلى أصول الحياة وتوارثاتها.

اللوحات مزيج من الوجوه والشخصيات التي تكاد تنطق، لكن في جو أيقوني، صناعة، وموضوعا. يتفاعل المشاهد مع أشخاص كأنهم ينتمون إليه أو ينتمي إليهم. إنها الروح العائلية الكامنة في ألوان اللوحات، يلمسها المرء في الصور العائلات القديمة التي ما زالت تزين جدران المنازل التقليدية.

اللوحات تكاد تكون منقولة عن لوحات حقيقية، لكن ريم الجندي استطاعت أن تجتهد في التأليف الفني، وتبقي روح العائلة، وأفق العاطفة الإيمانية في اللوحات، بحيث تمنع تحويل العمل من نسخة منقولة إلى عمل فني مبدع شكلا وألوانا وابتكارات.

كانت ريم الجندي تبحث عن واحة ترتاح لها وهي مهددة المصير. وهي لم تستطع الرحيل عن مدينتها المفضلة بيروت، فكان الترحال حليف لوحاتها. لوحة عائلة آل سماحة في الاغتراب تركت خلفها صورتها الأيقونية الطابع، وهذه عائلة سورية مهاجرة للتو، تنتقل بين الأمكنة، وهنا عائلة موسيقية عراقية يهودية، وأخرى أرمينية في لوس أنجلوس. الكل مهاجر على ترحال، إلا ريم ملتزمة المكوث في المدينة. وتنتقل إلى مجموعة من اللوحات الصغيرة التي تخلط بين الأيقونة والتشكيل الأقرب إلى الانطباعي، تستوحي الكثير من عناصر مادتها من الأساطير التوراتية وسفره التكويني، فهنا شجرة صناعة شجرة العائلة (تلقيح وتوليد)، وشجرة تلتف الأفعى حولها تذكر بإغواء حواء لآدم، ولوحة شجرة عائلة يحرسها شبيه القديس جاورجيوس طاعنا التنين، وشجرة العائلة والحظ الكبير، كأن الشجرة رابط بين حاضر البشر وماضيهم أينما كانوا، ومن أية حضارة اتوا. فتحت الشجرة ولد الكون الاسطوري حيث تلاقى آدم وحواء، ومن تحتها انتقلا من الجنة الموعودة إلى الأرض الكونية.

وتنتقل اللوحات لتروي قصصا واقعية في إطار نصف واقعي شكلا، حيث تتمثل الشخصيات بوقائع عادية في الحياة، ومنها القبلة الأولى، وسهرة تلفزيونية في المنزل، ووراثة الصبي لزعامة الامبراطورية حيث تتدرج السلطة من الجد بالطربوش إلى الوالد بالغمباز فالولد الأكبر-الوريث بالثياب الحديثة مع شعار السلام في حركة "وودستوك" تختزل تحولات متسارعة لقرن من الزمن.

وتحضر رحلة عائلية إلى غزة توحي بصعوبات الحياة هناك، في ظل قلة التسهيلات وفي ظل الحصار، فتنتقل العائلة في سيارة يجلس أبناؤها في صندوق السيارة مع أكوام أغراض من كل الجهات، بينما تسير السيارة في وهم غابة من الكفافي. وفي هذه اللوحة يتجلى التأثير الأيقوني المتمثل بأوراق الأشجار المتساقطة بكثافة لكنها بلون الذهب. وتدخل المنمنمات في اللوحات، وكذلك الأشكال المؤشرة لانتماء أصحابها الديني، ففي عيد النيروز الكردي، أزهار بلون أزهار الربيع وأم تمسك بطفلها على طريقة مريم وعيسى، وفي عرس اليهود في حلب ظهرت الزهور السداسية الأوراق كنجمة داوود، بلون أزرق وفي كل اتجاه.

معرض ريم الجندي يزخر بأسرار غير مكشوفة، تحتاج لروية تفحص، وعين ناقدة، لكنها بلا شك تفتح آفاقا للبحث والحوار.

معرض

ألإنسداد الثقافي في تجمعات الشرق الأوسط البشرية

نجيب نصير

1

وألإنسداد يا سادتي الكرام ليس مصطلحا علميا إجتماعيا أو ثقافيا مبرما ، فهو قد لا (ينزل في ميزان أو قبان)، ولكننا مضطرون لنحته لتبيان الرؤية والرأي ، ما يحصل ـ وهو في الأصح لما يزل يحصل ـ بين ظهرانينا،مع أن الإنسداد بطبيعته يحصل مرة واحدة موقفا الجريان الطبيعي للإمور التي تتراكم خلفه حتى إنفتاحه، فناء المجرى برمته ،ولكن الذي جرى ويجري في شرق أوسطنا الحبيب هذا هو قدرة إستثنائية بين شعوب العالم على إختراع الإنسدادات وإجترارها ومراكمتها، حتى يبدو المنظر للمدقق العارف أنه عديم الحل، حتى في حالة المحاولة لفتح هذه الإنسدادات أولا بأول ، حيث يبقى الإنسداد الأول آخرا ، وهذا من الناحية النظرية في حال أستطاعت هذه التجمعات البشرية رؤية هذه الإنسدادات والموافقة على تشخيصها كما هي دون تفاؤل أو تشاؤم ، وعقد النية والهم بإزالتها ، ومن ثم النظر الى الإمكانيات وتوظيفها ، وتحويلها إلى فعل عملي لا يعرف الإنحياز إلا للمصلحة، ومن هنا يبدو الإنسداد تعريفا، هو معرفة الهدف ووجود النية ، ولكن لا وجود لهمة من أجل معرفة الأساليب والأدوات التي توصل الى هذا الهدف، لهذا تتحول حياة هؤلاء الشرق أوسطيين الى لغو(من لغة*) يعرف العلة لكنه يسلك طريقا آخر لإزالتها، وهو إجبار العلة على الإعتراف بأنها مخطئة في حقه، وهي ليست علة حقيقية بل وراء الأكمة ما وراءها،ويقبع منتظرا أن تعترف العلة بنواياها الخبيثة والإعتذار عنها صانعا في إنتظاره هذا عللا جديدة أسميناها إنسدادات.

منذ الحرب العالمية الأولى، بدت منطقة الشرق الأوسط (مصطلح الشرق الأوسط والأدنى لما يزل مصطلحا يشكل إنسدادا ثقافيا ما) ، مهيأة بطريقة أولية لتجاوز الإنسداد العثماني ، حيث عبرت النخبة التي يفترض أن تكون قائدة وصانعة للرأي حسب إمكانيات ذاك الزمن أي بدءاً من عام 1850 ، عبرت هذه النخبة عن خريطة الطريق التي تقود الى هدفين لا ثالث لها(ولما يزالان صالحين للتداول) وهما التنمية والتحرر ، وكانت الحلول النظرية العملية جاهزة في كتب فرنسيس مراش ، والكواكبي ، وطاهر الجزائري ، والطهطاوي وعلي عبد الرازق ، وسلامة موسى و ابو خليل القباني ورعيل كامل من هؤلاء (ومثلهم في البلاد المغاربية) ، وبدت تأثيراتهم الأولية على الشارع الشرق اوسطي ، في تغيير ثقافي شكلاني واعد تبدى في الإتساق مع المنجز التكنولوجي العالمي (المشخص منه والمجرد) ، بحيث تأكد أن الثقافة بمعناها المجتمعي ، هي الأسلوب والأدوات اللازمة لتوليد المجتمع اللازم للقيام بنهضة توصل أعضاءه الى التنمية والتحرر ، كهدف واضح يحقق مصلحة هؤلاء الأعضاء ، ولكن وفجأة حصل إنسداد !!! من أين أتى ؟ ولماذا ؟ وكيف السبيل الى فتحه ؟.... لم يكن أحد معنيا بالأمر ، بل أنعكس الأمر للبحث عن الأصالة والتأصيل (بدلا عن الأصلي ، والإبداعي) ، خوفا من التهجين ، طالما هناك (سايكس بيكو) والتي كشفها لنا الروس متأخرين بعض الشيء ، يمكنها تحمل وزر الإنسداد القادم ، كما لوعد بلفور ومؤتمر بال أن يساعدا في تخفيف أعباء مسؤولية الإنسداد .

كان هدف التخلص من العثمنة واضحاً الى حد بعيد في أذهان النخبة ، ليس بسبب عصر القوميات فقط ، بل للتهافت التكنولوجي في البنية الثقافية للدولة العثمانية ، وهو أمر فككها برمتها ، لتستبدل بعد وهلة بالنموذج الأتاتوركي اللاحق بإخلاص بعصر القوميات والقيم الثقافية الأصلية (وليس الأصيلة) وأيضا (ليس البراغماتية الواهمة) كقيم العمل والإنتاج والإندماج الإجتماعي ، والتي تعيد صياغة وصناعة المجتمع بمعناه الحديث (أنذاك على الأقل) ، كمنتوج معرفي إرادي وقصدي ، ولم يستطع الشرق أوسطيون إكتشاف أهمية الحدث « التركي « فيما بعد ،لكنهم ثربوه وأدانوه ، واقفين نظريا ،ـ ومتوقفين عمليا ـ عند الحالة العثمانية كحالة أطلال من الأصالة « الثقافية « الوقوف عندها ، وهكذا ولد مشروع التخلص من العثمنة ميتاً سريريا ، فالبحث عن انموذج قومي تحرري تنموي و(أصالي) !!، حتى ولو تناقض مع مشروع النخبة ، وحتى لو أدى إلى إنسداد كانت نذره واضحة للنخبة أنذاك ولنا الآن ، كان ضرورة ملحة ، فالأصالة شرط أساسي ، والبحث في الأصالة ومن ثم الخصوصية ، يقتضي جمع ما هو غير قومي مع ماهو قومي ، وجمع ما هو غير تكنولوجي أو تكنولوجي بائد مع ما هو تكنولوجي ، أو تكنولوجي محدث ، كان المهمة الأصلية لهاتيك الثقافة الإجتماعية ، طالما كانت هناك إنكلترا بباحثيها ومستشرقيها تستطيع تحمل الوزر، في حال كان هناك خطأ ما ، وفي حال أكتشفنا هذا الخطأ ، وفي حال أعترفنا به !!!، فالإستعمار (ظهره شيال) ويمكن تمسيح (....) به ، حيث احتمل فيما بعد كل الرزايا من وعد بلفور حتى غزو العراق (بما فيها ألأحتلالين السوفييتي والأمريكي لأفغانستان !!!)، في هذه المغامرةالثقافية تمت محاولة إيجاد (وليس صنع) مجتمع يصلح لإعلانه أمة تصلح بدورها لإقامة دولة ، إنها وصفة تكنولوجية واضحة وفعالة (اعتمدها أتاتور ك ، وفيما بعد مهاتير محمد ونجحت)، ولكن البوصلة الثقافية انحرفت مرة أخرى ، وفشلت في توليد مجتمع واضح يصلح للحياة بالمعنى التحرري والتنموي ، وقادر على التفاعل مع الوصفة التكنولوجية المحدثة أنذاك ، وأخترع لنفسه أولويات وهمية ، أوهمته بوجود طريقة أخرى غير تلك المعمول بها في أصقاع الأرض لإشهار مجتمع قائم على المؤسسات الواقعية ، بل ذهبت به الى إشهار ثورة عربية (كبرى) تؤمن العيش (وليس الحياة) لقرون طويلة على أمل إنتهائها وتحقق أهدافها ، لإنها تتطابق مع المعطى الثقافي لهذه التجمعات البشرية ، التي لم تستطع ورغم المحاولات الدامية ، من إنتاج دولتها المقامة على مجتمعها ألأصلي .

بعد قليل ، وحتى وصول قوات الإنتداب / الإستعمار / الإستثمار ، لم يكن الشرق أوسطيون إلا لحوم نيئة بحاجة

الى طبخ كي يستسيغها هؤلاء القادمون من وراء البحار ، وهنا صار الخلاف معهم والنضال ضدهم حسب الثقافة المجتمعية الضاغطة ، على نوعية الطبخ وليس على إستخدام اللحم ، فهم أيضا يريدون أن يكون لهم حصة من الطعام المطبوخ من لحمهم ، وأصبح عندها أية مطالبة للعودة الى تصحيح الخطأ الثقافي / الإجتماعي ، هو مساواة بين الضحية والجلاد ، في ممارسة ثقافية غير منطقية يحميها التراثيون الذين بدأوا أنذاك يستسيغون نكهة الطبخ طالما الغرب سيحمل الوزر ، وبدأوا في الآن ذاته يقسمون بقطع أكفهم قبل أن تمتد لمصافحة هذا ألأجنبي الآبق ، ومع كل هذا نجح بلفور الوعد ، ونجحت سايكس بيكو الإستثمار ، والأخطر من هذا كله أجهضت الخطوة الضرورية (الأصلية) للتحرر والتنمية ، لتحل محلها كيانات سايكس بيكو وما يشبهها ، وحلم الأمة (الأصيلة) التي تستنسخ ذاتها (الأصيلة) تحت ظلال المنجز التكنولوجي المشخص الذي عليهم شراؤه ... بدماء القلوب ....

2

ماذا يعني تتويج عصر النهضة بحضور المثقف (لورانس العرب) في العشرية الثانية من الفرن العشرين ، ولورانس هذا

كل ما قدمه رواد عصر النهضة) حتى عام 1920 على الأقل تم تأجيله ريثما تصحو الشعوب ليثبت محله ما أقترحه المرتحلون

سبقه كثيرون وتبعه كثيرون من الدارسين وواضعي الخطط والتصورات ، عنا في هذا الشرق الأوسط المترامي بين محيط وخليج ، لم تفشل نصائحة وتوصياته التي قد لا نعرف عنها الكثير ، ولم نستفد من القليل ، حيث بدت الثقافة هي المحور التي دارت به الدوائر ، فكل ما قدمه رواد عصر النهضة (حتى عام 1920 على الأقل) تم تأجيله ريثما تصحو الشعوب ، أو تم القضاء عليه رويدا أو بسرعة ، ليثبت محله ما أقترحه المرتحلون الجائبون أرجاء جنوب المتوسط ، وصحت «توقعاتهم « و هي في الحقيقة دراسات وأبحاث لما تزل الإستفادة منها ومن تراكماتها خريطة طريق معاكسة تهدف الى الحفاظ على التخلف ، الذي لا يوصل ، لا إلى مجتمع ،ولا إلى أمة، ولا إلى دولة ، ألقانيم المؤسسة للوجود البشري في العصور الحديثة ، والدليل على ذلك كمية الهزائم الحضارية التي تتعرض لها يوميا هذه التجمعات البشرية ، التي لا تدعي شرف الوصول الى المرحلة الإجتماعية المسماة أمة ، كما أنها لاتريد الوصول الى ذلك ولو على حساب الحقيقة ، والحقيقة معرفة وثقافة بالضرورة حتى ولو كانت متغيرة بمقتضى الإرتقاء .

ربما بطبيعتنا ودائما نبحث عن متهم ... من الذي أوقف النهضة ؟؟؟ فطبيعة (ثقافتنا) عقلنا التشخيصي يفرض هكذا تساؤلات ، تودي بنا الى موارد بعيدة ، فنسارع إلى إتهام الإستعمار ، والذي يحتاج الى وعي كي نقاومه ، والوعي لا يمكن توفيره لإسباب موضوعية أهمها تعارضه مع قيمنا وتراثنا وخصوصيتنا ، لنفتتح صراعا داخليا وهميا حول الهوية ، متناسين تماما أن الهوية تأتي بالوعي ، فالهوية منتوج وليست مادة أولية أوشرط من شروط بناء مجتمع ، فالمجتمع والمجتمع فقط هو من يستطيع إعلان هويته ، عبر منتجاته الحضارية من صناعة وغلال وفكر ، وأضيف إليها هذه الأيام الرياضة والإتصالات والبرمجيات وأقتصاديات المعرفة ، حيث لما يزل هذا الشرق الأوسط يتأرجح بين إعلان هوية تاريخانية وصلت إليه بالإسالة التناسلية ، وهي لا تصلح للمنافسة على أساس المعايير الأرضية ، فليس شأنا كبيرا أن يكون هناك عنترة وحمورابي ، وهناك من يقطع المئة متر بتسع ثوان أو من يضع دستورا حديثا لثلاثمئة مليون بني آدم !!! هذه الإنجازات التاريخوية لا يمكن معايرتها حديثا كي تصبح من المقومات الأساسية للهوية ، ومع هذا أخذت معركة الهوية الوهمية جل وقت وأهتمام وفعالية الناطقين بالعربية ، ولم يحصلوا عليها ، لا بل قاوموها على الرغم من (وعيهم) ، ولا ننسى في هذا السياق كيف يدافع الجميع عمليا عن سايكس بيكو في كل المناسبات ، وكيف يرضخ الجميع لتوصيات لورانس العرب ، ومع هذا يتم شتمهم في إنتظار تبلور الهوية .

في روايته (غابة الحق) (صدرت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر) أكد النهضوي فرنسيس مراش الحلبي . على أن الثقافة الواحدة والموحدة لإنتاج مجتمع ومن ثم أمة ودولة ، هي الثقافة الحقوقية ، التي لا مجال لتجاهلها أو تأجيلها كعامل مؤسس لمطلبنا في الوجود ، (وهذا ما أتبعه الكواكبي بطبائع الإستبداد على الأقل) ، ومن العبث هنا البحث عن متهم ، (كأبو الهدى الصيادي مثلا) لنحمله مسؤولية إنتكاس النهضة أو الدعوة إليها على الأقل ، فالمسألة هي مسألة إختيار الإنقياد ، وهي مسألة عميقة وموضوع شائك لا يبدأ برفاعة الطهطاوي ولا ينتهي عند أدونيس ، فظاهرة الإنقياد والتي فشل في تفسيرها كثر من نمط (محمد عابد الجابري) في عصرنا هذا (فكيف في زمان لورنس العرب .؟) ظاهرة مارست الإرتباك (الفوضى) في تلافيف هذه التجمعات البشرية التي خضعت أو ما خضعت للشفاهية في تعاملها مع المنتج الثقافي ، الذي يحافظ بشراسة عن التبسيطية الثقافية ، ملغيا بشكل لا عودة عنه ما يمكن تسميته الثقة المعرفية التي لا يمكن الإستغناء عنها إلا بالإستغناء عن النهضة ذاتها ، حيث حلت المقترحات اللورانسية كبديل عملي عن كل ما تعد به النهضة وأي نهضة ، حيث قادت هذه الشفاهية التنظيرية إلى إخصاء ومن ثم عقم ، العقل الذي لم يستطع التجريد وهو عطب آخر لا يقل كارثية عن الشفاهية ، فكل التكنولوجيات المؤسسة للأمة (من أحزاب ، ومؤسسات ، وبرلمانات ، وحكومات ، ودول إلخ) هي تكنولوجيات مجردة ، لم يستطع العقل الشرق أوسطي تداولها ناهيك عن التفاعل معها ، حيث بدت الإستراتيجيات الثقافية كشأن مؤجل أكثر منها كخطط إجتماعية يتم العمل بها دون لمس النتائج المشخصة فورا ، ألأمر الذي نجحت فيه اللورانسية الثقافية مع الثورة العربية الكبرى ، التي نجحت في تشخيص سايكس بيكو (مثلا) التي تعامل معها الغرب مجردة وإستراتيجية ، بينما لمسها الشرق أوسطيون ناجزة شاخصة وفاعلة ، عندها هرب الفعل الموضوعي الإنجازي الى غير رجعة (لحد الآن) وحل محله الفعل الخيري الذي خاصم أدوات النهضة وسبلها عبر عقل نظر إلى النهضة ككتلة مجزأة يختار هو ما يناسبه منها ويترك الباقي ، وهنا تبدت كارثة أخرى سوف تحل (حلت) بالنهضة ، حيث أختار هذا العقل الخيري العنصرية سبيلا لإنجاز نهضة أدواتها وسبلها بما يقتضي الفعل الخيري بمعناه التراثي وقضى أكثر أوقات القرن العشرين محاولا إثبات وجهة النظر هذه بينما النهضة نفسها مؤجلة ، حيث يقبل بفضله الثقافي على عصور سابقة ولكنه لا يرضى بفضل الآخرين (عليه) على أساس أن الحضارة البشرية كل متكامل متراكم تقدم الشعوب ما لديها من جديد دنيوي من أجل إستمرارها ، ولكن للنهضة شأناً آخر وقوانين أخرى معلنة وواضحة وتحتاج الى الحيوية والتجربة وليس إلى النقاش حول خيريتها وصلاحيتها لهذه الخيرية ، وهنا تبدى أن التخلص من العثمنة كوجود ثقافي بائد باء بالفشل الذاتي فالثقافة البائدة حافظت على تكوينها ومحاكماتها العقلية مغيرة عنوانيها لتصبح أكثر إستيعابا من قبل هذا العقل نظرا لتبسيطيتها الشفوية ، وعدم مقدرتها على التجريد ، وعدم قدرتها على ممارسة الثقة المعرفية وأخيرا عنصريتها التي وضعت شروطا معجزة على حاجتها الضرورية في توليد مجتمع بالمعنى المعرفي الحديث للكلمة ، وبالتاي فقدانها الأهلية لوجود أمة ودولة بنفس المعنى

هنا ومع بداية العشرية الثالثة من القرن العشرين ، سقطت النهضة وحلمها والتحضير لها أو التبشير بها ، لتتحول أشلاؤها الى حركة التنوير ، التي نرى بقاياها الحزينة في بدايات القرن الواحد والعشرون .

يتبع ◖

ظاهرة

عبدة الشيطان والمخدرات والإعلام

د.عاطف خليل الحكيم

هل صحيح ان العلوم تتقدم على حساب القيم الأنسانية؟
وهل صحيح ان المجتمعات الانسانية تتراجع كلما حققت العلوم تقدماً؟

وأذا كان لابد من ثمن تدفعه المجتمعات لقاء تقدمها العلمي فما هي ؟

هذه الأسئلة يجيب عنها د:عاطف حكيم في مقالة قيمة تضيء على بعض الانحرافات التي يعانيها شبابنا وآثارها على مجتمعاتنا .

علم الأخلاق

ونبدأ سؤالاً: هل حقاً تراجعت القيم الأخلاقية بتقدم العلوم والتقنيات الحديثة؟ هل حقيقة أن المجتمعات الإنسانية تتراجع على حساب التقنيات العلمية الحديثة؟

قبل الإجابة على السؤالين، أعلاه، يجب الإجابة على سؤال أسبق وأولى بالبحث، وهو: ما هو المقصود بالعلم؟ وهل أن الأخلاق علم؟

والعلم هو كل فرضية تنتهي نتيجة واحدة في كل زمان ومكان، فمثلاً 1+1=2 في كل مجتمع ومهما اختلفت لغته وشكله ولونه وحجم رأسه، أو أن الكذب فضيلة سيئة وأن الصدق فضيلة حسنة وفي كل مجتمع ومهما تباين واختلف، أو أن شرط وجود الإنسان مرتهن بشرط وجود الأمة ـ الوطن ـ الدولة، ومهما ارتقى الإنسان في الثقافة أو جهل؟

عليه، هل أن الأخلاق هي علم؟ أليست الأخلاق علماً؟ أليست النفس علماً؟ أليست الفلسفة علماً؟ لا شكّ في ذلك ولا مندوحة. كذلك ليس من شكٍّ أن المقصود من العلم المتضمن في فحوى الموضوع هو كالنتيجة علم قائم بذاته، وإن كان متوارياً خلف رمزية الأهداف والغايات.

كل شيء علم حتى أبسط الأمور في الحياة والتي نظن أنها بسيطة.

هذا والعلم يخضع لقانوني التطور والتقهقر، للتطور والتراجع، فالتطور الذي ينال من مدرسة علمية ما، فهو ينال من جميع المدارس الأخرى كافة.

الأخلاق بين الجمود والتطور

ومما لا شك فيه، أيضاً، أن العلوم الإنسانية والأخلاقية تواكب تطور العلوم التقنية تتطور بتطورها وتتقهقر بتقهقرها. وقد تطورت الأخلاق في البلاد التي تطورت فيها العلوم التقنية كالبلاد الأوربية مثلاً، وقد تقهقرت الأخلاق في البلاد التي تراجعت فيها العلوم التقنية كالبلاد العربية مثلاً. والعكس ليس صحيحاً، أي لو أن الأخلاق تتقهقر في بلاد العلوم التقنية وتطورها، لكانت تراجعت أوروبا أخلاقياً وتطورت البلاد العربية، وللحقيقة فإننا نرى أن بلاد الأرض الشمالية، بلاد السويد وأسوج والنروج، هي أكثر تطوراً أخلاقياً وأكثر ترفّعاً عن الأمور المادية الشكلية، وأكثر نزاهة وابتعاداً عن المصلحة الفردية المشوبة بالأنانية والفردانية. حتى وبإمكاننا القول إن فكر السيد المسيح، أو فكر الإنجيل المقدس وكذلك فكر جبران خليل جبران، لم يترجم عملياً إلا في تلك البلاد، حيث تطورت العلوم التقنية وعلى مختلف مدارسها. ففي طول تاريخ المسيحية وعرضها لم يعِ العرب معنى للآية الإنجيلية: {(27) وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لاَ تَزْنِ (28) أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بِقَصْدِ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ } (إنجيل متى، الفصل 5، الآية 27-28). أما في بلاد السويد وسويسرا والتي دخلتها العلوم التقنية ومنذ زمن بعيد، فقد وعت مفهوم الآية وهضمتها وحفظتها وعملت بموجبها. وما وقف العرب مندهشين متعجبين لنوادي العراة في تلك البلاد، إلا لأنهم لم يعوا كلام السيد المسيح. ومن مقارنة بسيطة يتبيّن معنا أن بلاد أوروبا هي بلاد الحضارة والرقي بينما بلاد العرب، فهي بلاد التخلف والانحطاط، بلاد العالم الثالث، وباعتراف العرب أنفسهم، لم نجد في بلاد العرب إلاّ انحطاطاً واستخفافاً وتخلفاً مع كثرة الثياب المتحركة. هذا، ولو كانت الثياب وقاراً وشرفاً وصوناً للجسد ومفاتنه كان على العرب أن يعبدوا ويحترموا ويجلوا أوروبا، ذلك، لأن أوروبا هي صانعة الخيط الذي حصّن العرب.

ملاحظة، نرجو أن لا تظنوا بنا سوءاً، فنحن لا نتعصب للعري أو للثياب، إنما نقدم مثلاً للبحث والمناقشة.

هذا، ولو كان صحيحاً أن العلوم الإنسانية تتراجع مع تطور العلوم التقنية، أو لو كانت العلوم الإنسانية تنشط في المجتمعات التي تفتقر للعلوم التقنية، لكانت المدارس أُقفلت في الغرب قبل الشرق، ومنذ زمن بعيد ولكانت الوظائف الإدارية، الفئة الأولى تسند للأميين، الجهلة، أو لرجال الدين أولئك الذين توقفت علومهم عند حدود الطقوس الدينية.

حتى، وفي المجتمع المتخلف تقنياً كبلادنا مثلاً، فإننا نقع على الفساد، وليس إلا على الفساد، كأعمال الجريمة والأخلاق المنحطة، وتلك الأعمال الفاسدة هي في اطراد مستمر ومتفشية كتفشي الزيت فوق الماء. هذا ونسبة تفشيها وانتشارها في البلاد العربية أكثر نسبة من تفشيها وانتشارها في المجتمعات الأوروبية الحديثة حيث العلوم التقنية وحيث العري وحيث الحرية وحيث أن السلطة هي للدولة وحسب. إن انتشار الفساد ناشط في البيئة الاجتماعية المتخلفة، علمياً وفكرياً وفلسفياً، أما البيئة العلمانية، فإننا بالكاد نلاحظ فساداً أخلاقياً، وانحطاطاً حضارياً، ونظرة سريعة إلى التاريخ القديم، فإننا نلاحظ، أن المجتمعات السبّاقة إلى التقنيات، هي السبّاقة إلى الإنسانيات والأخلاقيات، فالمجتمعات التي عرفت علم الزراعة، هندسة الزراعة، آلة الزراعة، هي الأكثر حضارة والأكثر رقياً من المجتمعات التي اعتمدت في حياتها على الصيد أو الرعي وحسب. اليوم الحضارة في أوروبا موجودة، لأن أوروبا نحت في معاشها على الزراعة والصناعة والإبداع الزراعي والصناعي، أما في الأمس وعندما كانت أوروبا تفتقر للزراعة وآلة الزراعة كانت مثل البلاد العربية اليوم لا حضارة فيها ولا رقي ولا إنسانية. وخير دليل نؤكد فيه صحة نظرتنا، مجتمعات آسيا العربية ومجتمعات إفريقيا، وبمقارنة بسيطة بين هذه المجتمعات والمجتمعات الأوروبية، فإننا نلاحظ الفرق الحضاري والتباين في القيم الإنسانية والاختلاف في الفضائل الأخلاقية. هذا، والبراهين على ذلك نستقيها من أفواه رجالاتنا العظام وعلى مختلف وجوههم وألوانهم وثقافاتهم.

لقد تأكد، وبشكل قاطع، لعلماء الفكر المقولة التالية: «من امتلك السلاح العلمي، من امتلك القوة العلمية، ضبط مجتمعه أولاً وساد على العالم ثانياً». وهذه هي أميركا خير دليل على صحة ما نقول. يظن أو يروج أولئك العملاء، مقولة: «ابنوا الدولة ثم فصلوا لها فكراً» أو أن الدولة أولاً وثانياً الفكر، وهذا الكلام ليس إلا شعاراً لا قيمة له ولا ثمن، ونقول إن الفكر أولاً ثم الدولة، وهذه هي دولة النبي محمد، أولاً، النبي نشر الفكر الإسلامي الناضج الذي تأتّى من فكر السيد المسيح، ثم تطلع النبي إلى أمة سيدة حرّة، وأخيراً، تطلع إلى دولة، وبذلك كان النجاح وانتهت أمة محمد إمبراطورية سيدة على العالمين. إن أميركا وأوروبا، التي تعرف بالدول الكبرى، هما اللتان تتطلعان إلى إمبراطورية تسود بواسطتها العالم. دول أوروبا وأميركا هي التي تطورت فيها العلوم أولاً وقبل أن تتطلع إلى سيادة العالم واستعماره، تلك الدول هي دول الأخلاق والعلوم وليس كدول آسيا أو إفريقيا، فلو كان صحيحاً أن تقنيات العلوم الحديثة تفسد المبادئ وتشوه القيم، لكانت سيادة العالم لآسيا أو لإفريقيا الفقيرة للعلوم التقنية الحديثة والفقيرة لعلوم الأخلاق.

ملاحظة، أيضاً، لا تظنوا بنا سوءاً، وتحمّوا علينا الأعداء بالعداء للعرب وللوطن، إنما نقول الحقيقة من أجل أمر عظيم يساوي وجودنا نحن كشرقيين أولاً وكعرب سوريين ثانياً، لعلنا ننحو صوب العلوم، ولعل قام الفينيق من تحت الرماد.

لقد جاء في مقدمة ابن خلدون، علم مفاده: «أن الحروب هي أمر طبيعي بين البشر»، عليه، فالحروب هي آلة ضبط نسبية الحياة على الأرض، بعكس عالم الحيوان، إذ أن الحيوان الأقوى هو ضابط نسبية عدد الحيوانات الأضعف، فالذئب، مثلاً، هو ضابط نسبية الأغنام والماعز وما شابهها، والأسد والنمر والفهد ليسوا إلا جهاز ضبط الغزلان والثيران وهكذا... هذه هي الحقيقة العلمية الاجتماعية، وهكذا رآها ابن خلدون، وقد ترجم أحد المفكرين المعاصرين كلام ابن خلدون على النحو التالي: يجب تصنيع سورية من أجل الحروب القادمة. يجب امتلاك السلاح من أجل تأدية رسالة إنسانية أخلاقية إلى العالم الجديد.

وبناءً على ما تقدم، فإن العلوم التقنية والعلوم الأخلاقية متواكبة تسير معاً جنباً إلى جنب، تقوم وتتطور معاً، وتقعد وتتقهقر معاً، والعكس ليس صحيحاً.

الأخلاق وليدة البيئة، وهي رفيعة راقية بنسبة علومها التقنية. في الأمس القريب، وحين كان المفهوم العلمي يظن أن القمر مجرد قمر لا يزيد حجمه عن كرة السلة الأميركية، كانت تسود في الشرق أخلاق مفادها شعب الله المختار، أو خير أمة أخرجت للناس، وكان الآخر ليس إلا حيواناً ويريد التهام الحيوان الأضعف، أما اليوم وبعد أن اكتشف القمر وبعد أن غزاه الإنسان، فقد تطورت العلوم الإنسانية بتطور علم اكتشاف القمر، وبذلك أصبح الآخر أنا، الآخر حقيقة إنسانية وليس جحيماً، فإن ألغيته فقد ألغي الأنا نفسي، ذاتي قبل أن ألغيه، وإذا أردت حقاً إلغاءه، فعلي أن ألغي نفسي وبإلغاء نفسي ألغيه.

وما يصح على علم الفلك يصح على أي علم آخر، كالطب والهندسة والرياضيات والإلكترونيات وغيرها... ونختصر الكلام في الأمثلة لضيق الوقت، ومن أجل فتح ملف عبدة الشيطان والمخدرات.

المخدرات طريق عبادة الشيطان

للأسف، فالمخدرات وما شابهها، كالتدخين والكحول، تنتشر في العالم العربي، عامة وبين الجماعات الدينية خاصة، انتشار النار في الهشيم والريح عاتية. وعندما نقول الجماعات الدينية، فإننا لا نستثني أي جماعة، جميع الجماعات الدينية في الشرق مبتلية بمرض المخدرات، ويعود السبب في ذلك إلى اليأس، إلى الجدار المسدود، إلى حائط المبكى. لكل جماعة دينية شرقية حائط وتنطحه. حتى المدارس، فالمدارس تعاقب الولد بأن يقف حيث اللوح ووجهه إلى الحائط.

انتشار المخدرات والانحلال الأخلاقي

للأسف نقول إن المخدرات والكحول والزنا، خاصة، تنتشر في العالم العربي انتشار النور في الظلام، هذا وتنتشر وسط الجماعات

الدينية، الطائفية، كانتشار الإشعاع في الكون، أكثر من أي جماعات أخر. وليس كما يروج ويشيع البعض وعلى ألسنة رجال الدين أنفسهم أن المخدرات والكحول والزنا تنتشر في الصروح العلمية برمتها، ومن المرحلة المتوسطة وحتى المرحلة الجامعية. وما المقصود من هذا الترويج وتلك الإشاعات؟ أليس المقصود نشر المخدرات والكحول والزنا وبالتالي إقفال الصروح العلمية ونسفها؟ ومتى نُسِف آخر صرح من الصروح العلمية حتى تقع الأمة والدولة والمجتمع والشعب لقمةً سائغة في فم التنين.

إن المخدرات تنتشر بين الجماعات الدينية في العالم العربي، وحين نقول الجماعات الدينية، فإننا لا نستثني أي جماعة دينية، فمن الجامعة الدينية الوثنية والجماعة الطوطومية وحتى المسيحية فالإسلامية. هذا، ونرى ونلاحظ أن المخدرات والكحول والزنا لهم الدور الأهم في العبادات، لا بل أن العبادات لا تقوم إلا بها، فمثلاً، المسلمون لا يشددون في هدايتهم إلا على أن الكحول والزنا حرام، ثم حرام، ثم حرام. وفي علم نفس المجتمع، فأن التشديد في المنع والتحريم، فالأمر يرتد عكسياً بين صفوف الشباب، ونحن نتكلم هنا من منطلق المبدا القائل «إن المتحدث بالسوء كفاعله».

المخدرات بين الدين والعلم

والسؤال: لماذا العلوم الدينية تشدد على منع المخدرات والكحول والـزنى؟ وبالمثل لماذا تمنع الصروح العلمية، خاصة منها الطبية والمخبرية، المخدرات والكحول والزنى؟ وبالتالي ما هي الأسباب التي عوّلت عليها كلا المدرستين، الدينية والعلمية؟

من نظرة سريعة إلى كلتا المدرستين، يتبين لنا أن المدرسة الدينية تمنع الآفـات الثلاث بعلة أن المخدرات والكحول تذهب بالعقل وبذهاب العقل يبتعد المرء عن عبادة الله خير عبادة، أما الزنا فقد ربطته المدرسة الدينية بالشرف وحسب. أما إذا نظرنا إلى المسألة بعين المدرسة العلمية، فإن هذه المدرسة تفيدنا، وباختصار شديد ما يلي: أن المخدرات تفتك بخلايا الأعصاب، إلا أن الإنسان بحاجة لها، إنما ليس بحرية التصرف، بل فقط ضمن المؤسسة الطبية. أما الكحول فهي أيضاً، تفتك بالدم وبجهاز تصفية الدم، البنكرياس، إذ سرعان ما يكسل هذا الجهاز. وبالتالي يمرض الإنسان وسرعان ما يموت. ومع ذلك فإن للمخدرات فوائد كثيرة، إنما بكميات قليلة وقليلة جداً. من مثل أن مادة الويسكي تفيد جهاز القلب، وأن العرق ينظف المعدة من الحشرات الموجودة في المعدة والمتأتية عن طريق الأطعمة خاصة منها اللحوم، وأن النبيذ يفيد خفض معدل السكر في الجسم وهكذا... وأما الزنا فهو مرفوض جملة وتفصيلاً، لأن الإختلاط الجنسي يؤدي الى الأمراض الزهرية أو السيدا أو الأيدز أو القضاء على جهاز المناعة.

والملاحظ أن الذين يصغون للمدرسة العلمية أكثر احتراماً وأكثر تنفيذاً لأوامرها من الذين يصغون للمدرسة الدينية. لماذا؟

نحن لا نبحث المسألة من وجهة العبادة كما يمكننا القول: إذا كانت المدرسة الدينية توافق على أن في الزنا فوائد سلبية وأخرى إيجابية إلا أنها لا تسحب هذه المسالة على آفتي المخدرات والكحول، فهما سلبيتان، مرفوضتان بالمطلق. مع الإشارة إلى أن الآية الكريمة تقول: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)}. وأيضاً، الآية: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)}. كما ويجدر القول إن المدرسة الدينية منقسمة على بعضها بين محرم ومباح.

ليس هذا وحسب، فبعض المذاهب الدينية، الصوفية الجديدة تعتمد في عباداتها على التخدير بواسطة الغبار، وذلك عن طريق دوران الفرد حول نفسه ومن جراء الدوران أولاً ومن الغبار المتصاعد من أقدامه ثانياً يتخدر المرء ويسكر. وسكر الغبار أشد وأقوى من سكر المخدرات والكحول.

هذا وإذا دخلنا إلى الجماعات الإفريقية فإننا نقع على مقولة إن المخدرات مقدسة، ذلك أنها تفقد المرء الإحساس بالجسد، وعندما يفقد المرء إحساسه بالجسد يقوى الإحساس والشعور بالروح، الإحساس بالروح يقوى بضعف أحاسيس الجسد. وعندما تستيقظ الروح من ثباتها بقدرتها أن تبلغ إلى درجة العلاقة بين الخالق والمخلوق، بين الله والعبد.

كما يجدر بنا القول إن تقديس المخدرات لا يقتصر على الجماعات الإفريقية المنسية، بل يشمل حتى الجماعات الحية كالجماعات المصرية والليبية مثلاً.

إذا، أين نجد انتشار المخدرات والكحول؟

يشدد رجال الدين الشرقيون والإعلام السياسي في الشرق على أن المخدرات منتشرة في الغرب وبقارتيه الأوروبية والأميركية، ويردون سبب هذا الانتشار في الغرب إلى انحلال الرابطة العائلية، مما أدى إلى انتشار المخدرات إلى جانب آفتي الكحول والزنا، وهذه الآفات الثلاث كانت سبباً لانتشار آفة رابعة ألا وهي عبادة الشيطان بدل عبادة الله، فهل حقيقة هذا التشديد وهذه الأسباب؟

وتصدت المؤسسة الدينية بلسان أعلامها وإعلامها للآفات الثلاث. اما منهجيتها في التصدي، فقد اقتصرت على طلّة تلفزيونية كل سنة مرة. والسؤال: هل حلقة إذاعية واحدة في السنة كافية للحد من انتشار الآفات الثلاث؟ وهل أن حملة مكافحة المخدرات اليتيمة في السنة هي حملة الحد من انتشار المخدرات، أم أنها حملة نشر المخدرات والترويج لها وذلك عن طريق تذكير الناس بالمخدرات؟

العبادة بغاياتها

في الجواب: نعم ولا.

نعم، إن الفكر الذي ذكروه موجود، وهو موجود وحسب، أي أن وجوده بين الجماعات الغربية كوجود الفكر الإسلامي عينه أو الفكر المسيحي أو أي فكر آخر. هذا والأفكار الفلسفية كثيرة في بلاد الغرب، ففي الشرق لا يوجد مثلاً الفكر الظاهري أو الظواهرية والفكر الطبيعي والفكر الوجودي وغيرها... أجل لقد انتشر فكر عبادة الشيطان في بعض الجماعات الأوروبية، إنما هنالك فرق كبير بين مفهوم الشرقيين لهذا الفكر وبين مفهوم الغربيين له. في الشرق اقتصر الأمر على العبادة وحسب، أما في الغرب فإن الأمر مختلف تماماً، فالفكر الشيطاني، أو عبادة الشيطان هو عصبية كبرى وتعصب كبير للبلاد، للأمة، للوطن. الفكر الشيطان هو حصن منيع بوجه الفكر المسيحي والفكر الإسلامي اللذين استعمرا بلاد الغرب. إن العبادة بغاياتها. عبادة الشرق من أجل عبادة الله وحسب حتى وإن خرّبت البلاد والأمة والوطن. بينما عبادة الغرب هي للأرض والبلاد والأمة والوطن، حتى وإن خرّب الله. عبادة الشرق تقتصر على العبادة وحسب بينما عبادة الغرب من أجل الحرية. هذا وليعلم الجميع نحن لا نميل ولا ندافع عن أية جهة كانت، نحن نبيّن رؤية كل مجتمع وذلك من أجل وجودنا نحن الشرقيون. ونظرة سريعة يلاحظ صاحب الضمير والوجدان الفرق بين الشرق والغرب. الشرق في خراب وتقهقر مستمرين بينما الغرب في تطور وارتقاء مستمرين.

قلنا في الجواب على السؤال انتشار المخدرات والكحول وأسبابها نعم ولا، فكيف نعم ولا؟

نعم في الغرب تنتشر آفة انحلال العائلة، إنما أنموذج العائلة في الغرب، هو مؤلف من ثلاثة أفراد الأب والأم وولد ما دون سن النضوج. وأحياناً لا يكون هذا الولد من صلب الأب والأم. بينما في الشرق، فإن مفهوم العائلة مجهولة العدد، فهي تصل حتى العشرين في البيت الواحد، العائلة تتألف من الأب والأم والجد والجدة (للأب وللأم) والعم والعمة والخال والخالة ولا نعرف عددهم، ومن الأولاد (والأولاد لا نعرف عددهم) والأحفاد أحفاد الصبي وأحفاد البنت.

المجتمع الغربي يخلو من المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الشرق كالمنافسة على الميراث، والحسد، والغيرة والطمع والثأر والزنى والمخدرات والكحول.

الأولاد في الغرب هم ملك الدولة، وبالتالي هي المسؤولة عنهم مادياً وصحياً وروحياً وثقافياً. بينما أولاد الشرق، فهم ملك العائلة وحسب أما الدولة، فليس لها من حصة في أولاد الناس. وبالتالي الدولة ليست مسؤولة عنهم لا مادياً ولا روحياً.

المخدرات في الغرب تعبير عن واقع فاسد، عن نظام فاسد، تعبير عن تطلعات مستقبلية وسيادة على الكون. وكل ذلك من أجل التغيير والثورة، بينما المخدرات في الشرق، فهي هروب من واقع مرير وحسب، لا أكثر ولا أقل.

انحراف الشباب الغربي إلى المخدرات بدافع التجديد، أو إثر تطور وقوة وسيادة، بينما انحراف الشباب الشرقي إلى المخدرات بدافع اليأس، أو بدافع الفراغ، ماذا نريد أن نفعل؟ لا يوجد عمل...

الشباب الغربي يميل إلى المخدرات علمياً ومثلما يميل إلى الموت لاكتشاف مجاهله، بينما الشباب في الشرق فهم يميلون للمخدرات طقسياً، عبادةً، ويميلون للموت يأساً وانتحاراً. هذا والشرق هو المجرم، وهو المسؤول عن انحراف الشباب الغربي إلى المخدرات والموت، فإذا كان الشرق هو من روج لحياة بعد الموت، إذاً، لماذا يلوم من يسعى إليه؟ راجت المخدرات وانتشرت آفة الكحول وتفشى الزنى بين الناس مما أدى ذلك إلى ولادة الفكر القديم الجديد ونعني به فكر عبادة الشيطان.

ولادة دين عبادة الشيطان

والسؤال من الذي أوجد فكر الشيطان والشيطان غير فكر عبادة الله الواحد، لو لم يروج أهل أديان توحيد الله، المسيحيون والمسلمون لإلههم بالمقارنة مع الشيطان لما كان وجد لا الشيطان ولا الفكر الشيطاني.

الأم المسيحية والأم المسلمة تطبع أولى كلماتها على لوح عقل الطفل الله والشيطان: «الله يحميك من شر الشيطان». والأب المسيحي والأب المسلم يردد وأبداً حكمتين، الأولى في حالة النجاح والفوز: «أنا فعلت» والثانية وهي في حالة الفشل والوقوع في الخطأ: «هو الله»، أي يرد سبب الخطأ لله، نجاح المرء هو صانعه، أما الفشل فمن صنع الله، مشيئة الله. ويردد الشرقي حكمة الفشل أبداً، وهي: «أعوذ بالله من شر الشيطان الرجيم»، أما أمام الفوز والنجاح، فهو ينسى أو يتناسى الله وينسى حكمته.

وأتباع الفكر الشيطاني كما العلمانيين لم يبشروا بوجود إله واحد أحد وحيد، فالشيطانيون لم يبشروا بوجود إله واحد لأنهم لا يريدون أن يبرهنوا على وجود شيطانهم بالمقارنة مع وجود الله، أي لأنهم لا يريدون أن يقعوا بنفس الخطأ الذي وقع فيه أهل أديان الله الواحد. والعلمانيون لا يبشرون ولا يقرون بوجود إله واحد، ←

ظاهرة

لأنهم لا يريدون أن يسود رجل الدين الضيق الآفاق، على مجتمع الطائرة والصاروخ والكمبيوتر ... يريد رجل الدين لإله المنجنيق أن يسود على إله عابرات القارات والنووي والكيميائي... فهل يقدر؟ أما العلمانيون فيرفضون رفضاً قاطعاً. يريد رجل الدين لإنسان العبادة وتأليه الشخص وعبادته أن يقود إنسان الله أو الشيطان وإنسان الحرية، فهل يقدر؟ والعلمانيون يرفضون وكيف يرضون؟ يريد رجل الدين أن يسجن طائر الفينيق في قفص أو أنه يريد أن يحجم الكون على قدر مداركه ويتبوأ عرش العالم ويحكم ويسود، فهل يقدر لأنه يتمنى ويحلم ويصلي ويدعو؟

بقدرة رجل الدين الشرقي أن يحقن الطوفان بإصبعه، إنما الطوفان قادم لا محال؛ بقدرته أن يخفي الشمس بأصبعه، إنما الشمس سرعان ما تبتعد عن إصبعه، باستطاعة رجل الدين أن يطفئ نار الشبيبة، إنما جحيم الشباب سيتأجج وناره ستندلع ولا مندوحة من ذلك. وترى الشباب يقولون: «هذه عيوننا حجموها وما شئتم، وهذه معاصمنا قيدوها وما رغبتم، وهذه أعناقنا غلوها وما ابتغيتم، إنما الصباح لنا والفجر نحن أسياده». غداً، وعندما يطل المخلص من خلف الجبل البعيد، امنعوهم إن استطعتم عن حمل صلبانهم، وحين يمضون الحقوا بهم وادركوهم ولن تدركوهم، وهل يدرك الظلام النور؟

مفهوم الله

رجال الدين في الشرق، وأيضاً، الناس أجمعين يتناولون مفهوم الله من باب الترهيب والترغيب، الثواب والعقاب. إن فعلت كذا نلت كذا، إن مارست الطقوس الدينية غفر لك الله وأثابك في جنته، وإن لم تمارس الطقوس الدينية ظلمك الله وعاقبك في جحيمه. أنظروا

إن المخدرات تنتشر بين الجماعات الدينية في العالم العربي،وحين نقول الجماعات الدينية، فإننا لا نستثني أي جماعة دينية،فمن الجامعة الدينية الوثنية والجماعة الطوطومية وحتى المسيحية فالإسلامية

الله الواحد الأحد يملك جحيماً ونعيماً، جنة وناراً، ألا يملك برداً، هل يوجد في الجحيم تسونامي؟ وهل يوجد في الجنة ريح الجنوب؟ كما يصوّر رجال الدين للشبيبة الله شخصية الله وكأنه بطل من أبطال الحكايات، إله رجال الدين وجه من وجوه الخرافة. بينما الغرب يصوّر الله محبة ومحبة وحسب.

يجيب رجل الدين في الشرق ومثله الناس يجيبون عن سؤال الأطفال: أين الله؟ بالضرب والنعت بالكفر، فإذا كان الطفل لا يعرف مفهوم الله ومفهوم الوجود، فلماذا يضيفون على عقله النامي مفاهيم جديدة قبل استيعاب المفاهيم الأولى؟

كل ما تقدم كانت أسباب وجيهة لولادة الفكر الشيطاني. هذا، ودين عبادة الشيطان لم يجده الغرب إلا لتسفيه فكر الشرق وذلك من أجل تهيئة الأرضية الآمنة لجيوشه القادمة لاحتلال الشرق.

رداً على ذلك، خرج الشباب من بيوت الله غاضبين، ثائرين، رافضين، يطلبون التحرر من إرادة الله وإرادة السلطة الدينية. وحين لم يجدوا بخروجهم بديلاً، لجأوا إلى النقيض لدين الله، ونعني أنهم لجأوا إلى الذي كان يخوفهم منه رجال الدين والآباء والأمهات، أي إلى الشيطان.

ويقول الشباب، نحن لا نعبد الشيطان، نحن ونكاية بالآباء والأجداد، أظهرنا عبادتنا للشيطان. نحن نتحدّى الآباء والأجداد، نحن نتحدّى رجال الدين ورجال السلطة، وعندما يتحرر رجال الدين والآباء والأجداد من خرافاتهم يتحرر الشباب من عبادة الشيطان؛ عندما يجد رجل الدين والآباء والأجـداد مكاناً للوطن والأمة في فكرهم نتخلّى نحن الشباب عن الشيطان وعن عبادته.

ويقول الإعلام المأجور لجمعيتي رجل الدين والآباء والأجداد: هنالك» ضمور في الرؤى والطموحات عند الشباب»، فهل حقيقة أن في عقل الشباب ضموراً وخمولاً وعدم وجود طموحات؟

والجواب بالنفي، لا. لا يوجد ضمور في الرؤى ولا خمول في العقول، وبالتالي يوجد طموحات كبيرة عند الشباب، وإلاّ كيف نفسر خروجهم عن الواقع القائم؟ كيف نفسر تحديهم للقوة الدينية الضاربة، كيف نفسر مصارعتهم لوحش تسلط الآباء والأجداد!

ويقول الشباب: نحن لا لسنا وكما يصفنا الإعلام المأجور، فإذا كان هو نفسه ذا نظرة تشاؤمية، فلماذا يريد أن يعكس نظرته علينا، هذا أولاً، وثانياً، نحن نحترم أهلنا وأجدادنا ورجالات أديانا، فإذا ثرنا، فإننا نثور من أجلهم أولاً ومن أجل الوطن ثانياً ومن أجل الحرية ثالثاً. باختصار، نحن الشباب نعمل من أجل الله الصمد الذي لا يحتمل جوهره أي وصفٍ من أوصاف الحكايات والخرافات.

ونحن نصرخ بفم جبران: «أنتم القوس وأبناؤكم السهام». فيا أهلنا الكرام، انزعوا الأقنعة عن وجوهكم، افتحوا عيونكم، واخرجوا إلى النور، وهيا انهضوا قبل أن تسحقكم جهل الأقدام الهمجية.

وسيأتي يوم، وهو قريب، وسنغير وجه التاريخ. وسنغيره لأنه قضاؤنا وقدرنا.

غداً، وعندما يأتي الشيطان وتأتي جيوشه ليمنعهم إله حكاياتهم.

نعيم تلحوق يحب

د.ميشال كعدي

ابعاده مشرعة على الفكر والوعي العقلاني:

هذا الجواب في فمه شدو، وفي جّوانيته متع من لبنان، هذا الكبير في الشعر ربط الأمداء بالأضواء وانطلق الى نعيم القول تلحوقياً، يشد المساحات الى المطلات، في عينيه لمعات من سمائنا وعلى لسانه أنشودة، تخلد في نبوغ حالم.شاعر الملكوت اليوم، تشتاقه الأعمدة التي مُست بنشوة العبقرية، أما الأشياء فتكتنفها هدأة روحانية،فتمسي في غرقٍ من الحس والفرح.

الشاعر الكبير نعيم تلحوق، أبعاده مشرعة على الفكر، والوعي العقلاني الذي لم يشب بمزاج.

شاعر ملكوت الشعر اليوم، ماهر نظّار، يمتاز منطقه بالحواشي الرخيمة المتعددة المواهب والقدرات، وهنا أسرع لأقول، ان نعيماً، كتب الشعر والرواية والنثر الفني، والمقالة الادبية والسياسية وما أنعم الله على العربية، فاذا كالَ او وزن، يبقى موقّفاً على الشاعر تلحوق الجمال في مواضع الصواب.

له في الفلسفة مكان، لانه متماسك الرأي، ثابت، حسّابة، يعمق البصر في أمور الدنيا، فيكشف الاقنعة عن المعلقات، على ان الثوابت تبعاً لشعره، تحلل كنه النفوس في اللحظات الحلولية المطلقة، حيث يتم الانصهار في بوتقة الذات التي تحرك نبض الزمان والمكان والماضي والحاضر.

على ان حقيقة نعيم، تتصل أحياناً كثيرة في اللاوعي واللاواقع، وقد يكون أنفذ من الوعي. وأعمق من الواقع، وبخاصة اذا انطلق شعره في حال التجربة ليراود المستحيل، ويخترق جدار القوة، وصعوبات القهر الزمني، لانه صنع الانطلاق والحرية، وسيد الشعر الجميل والرؤيا، بل سيد القصيدة المتسامية التي تتخطى الارتهان الى ما وراء العقل.

واذا دعي الشاعر تلحوق الى وليمة شعرية في لبنان، او في اي بلد عربي او أجنبي، مشى على درب محبة الناس له. وفي جمع يديه غزارة تدفع رفعة لبنانية، ثم تولم في رقاع المعرفة، وخطوط الحياة، وأبجدية القول المنغم على القرارات الذوقية، اذ ذاك تستقيم الروعة في قصائد نخلتها الذائقة الفنية، قرب الجرار المذهبة، وأري الخليات، والنقي المبراء من الهجنة.

هذا الشاعر الانطلاقي.

تراه في المحافل الكبرى، حليماً، وقوراً في كلامه، موحداً في المسائل ، تؤنسك مفردته التي يجتاز عبرها الحواجز الطبيعية والروحية برشاقة وارادة وتؤدة، ثم يأمرها لتدخل رحاب الموسيقى.

والانفعالات التي تتشظى في ميدان الرمزية التلحوقية بطريقة جـذابـة، وقـد وشحتها اخيلة من اللطافة، أما الرومنسية فقد توطنت بخفر في وجدانه ورؤاه وعواطفه.

أيها الناس

لا أريد أن أقصيكم عنه كثيراً أما انت يا حامل الجمال للملكوت الشعر فقد حملنا القلوب ،والشمع والعين اليك

قم وناج متعبي آخر النهار وان كان لك فضل الغبطة، فلنا عليك في المحبة سعادة المكتفين.

الفقر وموقف الشريعة منه

محمد فضل الله

الفقر وموقف الشّريعة منه يشهد الكثير من المجتمعات والدّول اليوم، تحدّيات اقتصاديّة صعبة، تؤدّي إلى انتشار ظاهرة الفقر بين الأفراد والشّعوب، حيث باتت هذه التحدّيات تشكّل الهاجس الأكبر لهذه الشعوب والـدّول. وقد وقع الاختلاف في تعريفات فقهاء عامّة المسلمين لحدود الفقر، فمنهم من رأى أنّ الفقير هو من له أدنى شيء، أي دون «نصاب»، فالفقير عند الحنفيّة هو من يملك أقلّ من نصاب الزّكاة، أو قدر نصاب، ولكنّه مال ثابت لا يستثمر أو ينمو، وهو مع ذلك معدّ لضروريّات الإنسان وما لا بدّ منه، أي أنّه ليس فائضاً عن الضّروريّات.

وآخـرون قالوا إنّ الفقير هو من لا مال له، ولا كسب له أصلاً... فإن لم يملك إلا شيئاً يسيراً بالنّسبة إلى حاجته، بأن كان يحتاج كلّ يوم إلى عشرة دراهم، وهو يملك درهمين أو ثلاثة كلّ يوم، فهو فقير، لأنّ هذا القدر لا يقع موقعاً من الكفاية، وهو رأي الشّافعي.

فيما ذهبت المالكيّة إلى أنّ الفقير هو الّذي يملك الشّيء اليسير الّذي لا يكفيه لمعيشته، ورأى الحنابلة أنّ الفقير هو الّذي لا يجد ما يقع موقعاً من كفايته... فالفقر هو عدم تحقيق حدّ الكفاية، أو عدم القدرة على الوصول إلى حدّ أدنى من مستوى المعيشة.

ويقول فقهاء الإماميّة في تحديدهم لعنوان الفقير الشّرعي، إنّه الّذي لا يملك قوت سنته، إمّا فعلاً أو قوّة، والمراد بالقوّة القابليّة، فمن يملك صنعةً أو حرفةً وما أشبه، يستطيع من خلالها تحصيل معاشه، فهو غنيّ شرعاً، وإن لم يكن يملك فعلاً المال في يده. وهناك المسكين الّذي هو أشدّ فقراً من الفقير، كأن لا يملك قوت يومه حتّى، فهذا التّعبير، أي الفقير والمسكين، إن اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا (إن اجتمعا في الكلام افترقا في المعنى، وإن عُبّر بكلّ كلمة لوحدها كان معناهما واحداً.) والفقير يستحقّ مال الزكاة والخمس شرعاً والكفّارات ونذورات الفقراء، وبعضها يمكن إعطاؤها له مباشرةً من قبل المكلّف، وبعضها الآخر يكون بنظر الحاكم الشرعيّ أو إجازته، والإسلام اعتنى بسدّ حاجات الفقراء في تشريعاته بشكل أساسيّ، وقد ورد في الحديث: «إنّ الله فرض في أموال الأغنياء ما يكفي الفقراء، ولو علم أنّه لا يكفيهم لزادهم»، لذلك «ما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني»، وجوع الفقراء يُسأل عنه أغنياء الأمّة الميسورون.

فالمراد بالفقير، كما يقول سماحة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله(رض): من لا يملك مؤونة سنته المناسبة له ولعياله، بنحوٍ لا تكون موجودة كلّها دفعة واحدة لجميع السنة، ولا هي موجودة بالتدرّج من خلال راتب يوميّ أو شهريّ.[[فقه الشّريعة، ص:533.]] والفقراء هم الّذين لا يجدون الفرصة الذاتية للعيش الكريم، فيضطرّهم ذلك إلى الاقتراض أو سؤال النّاس الآخرين].[من وحي القرآن، ص:143.]

لقد حثّ الإسلام على تحصيل المال من خلال الطّرق الشرعيّة، كالتّجارة والفلاحة والصّناعة والحِرَف والصّيد والوظائف، وحرّم بعض الطّرق غير المشروعة في تحصيله، كالغشّ والرّشوة والرّبا، كما دعا الإسلام إلى إنفاق المال في مصارف الخير، وتحقيق العدالة والتّوازن في المجتمع دون إفراط وتفريط. ولتحقيق عبادة الإنفاق، ذمّ الإسلام البخل والإسراف، ودعا إلى الاعتدال، قال تعالى{: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً}[الإسراء: .29]

لا ينظر الدّين الإسلاميّ إلى المجتمع على أساس أنّه فئات مستقلّة اجتماعيّاً واقتصاديّاً عن بعضها البعض، وإنّما هم ـ أي النّاس ـ بفطرتهم وطبيعتهم في هذه الحياة يحتاجون إلى التعاون على قضاء حوائجهم، وتبادل المنافع بينهم، من هنا عمل الإسلام بكلّ تشريعاته الاجتماعية والاقتصادية على ضمان المعيشة الكريمة للفئات الفقيرة والمحتاجة.

ولقد اعتبر الإسلام أنّ ظاهرة الفقر مرضيّة ينبغي معالجتها، ويروى عن النبيّ(ص) قوله: «اللّهمّ إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر». في المقابل، يعتبر الإسلام أيضاً أنّ الفقر هو ابتلاء من الله تعالى لعبده المؤمن، قال تعالى: {[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ] }البقرة:155{.

والإســلام بمنظومته العقيديّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، يهدف للقضاء على الفقر، وأوّل ما سار به لتحقيق ذلك، أنّه حارب منذ بداية الدّعوة الطبقيّة الاجتماعيّة، والتّمييز بين أبناء المجتمع الواحد، وحضّ على العمل والكسب، فالعمل هو السّلاح الأمضى في محاربة الفقر، وجلب المنافع..

كما ورهّب الإسلام من الاحتيال والتسوّل، ونهى عن التصدّق على غير المحتاج، وحضّ المجتمع ككلّ على البذل والإنفاق على الفقراء والمحتاجين، لأنَّ ذلك من صميم مسؤوليَّاته الأخلاقيّة والإنسانيّة، وتحقيقاً لمبدأ التّكافل الاجتماعي العام، وهذا ما يزيد المجتمع نفسه ثقةً واطمئناناً، ونتائج معنويّة طيّبة، بحيث تنتفي الأحقاد والبغضاء عندما يشعر الفقير والمحروم بأنَّ هناك من يساعده ويواسيه.

والمجتمع القويّ خيرٌ من المجتمع الفقير الضّعيف، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[الأنفال:60]، وفي معرض حديث عن هذه الآية المباركة، يرى سماحة المرجع الإسلامي السيّد محمد حسين فضل الله(رض): أنّه إذا كان جوّ الآية يوحي بوجوب الاستعداد للحصول على القوّة العسكريّة، فإنّنا نستوحي منها ضرورة الإعداد للقوّة من نوع آخر، مما تحتاجه الأمّة في تطوّرها العلميّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ في موقعها السياسيّ بين الأمم الأخرى، لأنّ ذلك يحقّق لها الاكتفاء الذاتيّ أو التفوّق الواقعيّ، الّذي يفسح لها المجال للتحرّك بقوّة من موقع استغنائها عن الآخرين، أو من موقع حاجة الآخرين إليها، فنستطيع بذلك أن نتخلّص من الضّغوط الّتي تقيّد حريّتها في الحركة، أو تفرض الضّغوط الّتي تحتاجها في علاقاتها بالآخرين، وهذا ما يُلزم الأمَّة ـ بجميع أفرادها ـ أن تستنفر كلّ طاقاتها في سبيل الوصول إلى المستوى المتقدّم في كلّ المجالات الّتي تمثّل أساس القوّة في الحياة، وأن تتخلّص من كلّ نقاط الضّعف المفروضة عليها من الدّاخل والخارج، فذلك هو السّبيل الأفضل لانطلاقة الإسلام بقوّة في حياة النّاس، في عالمٍ لا يفهم إلا بلغة القوّة، فالحقّ الّذي لا يستند إلى القوّة، لا يرتكز على أساس ثابت متين.

وإذا كان الوصول إلى هذا المستوى من القوّة يحتاج إلى الكثير من المال، فإنّ على الأمّة أن تساهم في ذلك على جميع المستويات، وأن تعتبر ذلك إنفاقاً في سبيل الله، لأنّ رفع المستوى العلميّ والعسكريّ والاقتصاديّ للأمّة، هو من أفضل السّبل العمليّة الّتي تؤدّي إلى تدعيم الحقّ، وتفتح طريق الانتصار في المعركة الطّويلة ضدّ الكفر والكافرين...

وقد أراد الله أن يوحي للمؤمنين بأنّه سيعوّضهم عمّا أنفقوه في هذا السّبيل في الدّنيا والآخرة {وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ، فتأخذوه وافياً غير منقوص وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}[الأنفال: 60]، بل تجدون العدل كلّه والخير كلّه والرّحمة الواسعة الّتي تفتح لكم أبواب الحياة على آفاق الفلاح والنّجاح.] [من وحي القرآن، ج10، ص:.410]

كتاب

زمن العناقيد شعر مسرحيٌّ بلا عنوان

لويس حايك

تطلُّ نسرين بديوانها الصادر 1998 بشعر طليق مطبوع باحتراف مقتِّر على غلاف باهت واوراق صفراء كعناقيد تشرين وبعنوان منزوع من زلال الكرمة يذكرنا ببيتٍ خالدٍ أغرى النؤاسي فسطا عليه وكان وفيّا في التذكير بصاحبه :

إذا متُّ فادفني الى جنب كرمة تروِّي عروقي بعد موتي عروقُها

إنه « زمن العناقيد « وقد تجرأتْ على تسمية لوحاته بالشعر المسرحي وهي تسمية لم يسبقها اليها أحد من قبل .

هذا الديوان ، بطبعته المتواضعة لا يلفت النظر ولا يغريك أن تصمده في مكتبة مزينة بالكتب الموشّاة بزخارف مصقولة بالخطوط والحروف المذهبة ، لكنه قد يغريك بأن تقلِّب صفحاته باهتمام فضوليّ فإذا بك تفاجأ وكأنك تهيم في مسرح ضبابي لا حدود له ولا علامات تشير الى فواصله .

ديوان طليق لا يحمل على غلافه اسم عائلة الشاعرة وقصائده لا عنوان لها ، قصائد لامنتمية ، عبثية الهيكلة ومنثورة كأوراق الخريف .

ديوان كتبت نسرين بعض قصائده في عمر عنفوانها الأنثوي المتمرّد على الذكورية . تفاجئنا لوحاته ببثٍّ حروريٍّ جديد الصياغة ، بعيد الأمداء ، رجراجٌ متوتِّرٌ صادق الإنتماء الى تسميته بالشعر المسرحي :

/ ليلٌ هدوءٌ سكينةٌ / جالسة أنا وحيدةً / قلبي منفطرٌ وروحي مشلوحة أمامي شهيدة / لم أجد تلك الليلة رفيقا سوى شمعةٍ وكأس نبيذٍ وجريدة /

وفي نظرة مفاجئة يتراءى لها وجه رقيق يوقظ في أعماقها تلك الحوّاء العنيدة فتخاطب شمعتها الحزينة بعنفوان أنثويٍّ :

/ لا تسأليني ان كنت أرغب ... أن يعود إلي /

قد يخالجك الشك وأنت تحلل شوق الشاعرة واشتياقها الى موعد معهود ، الى مقعد وبحر وسماء والى صوت واصابع تلامس اوتار العود وهي تعاتب الحبيب لغيابه الطويل ، هذا الشوق الهادر يخرج من قلب لا يؤمن بالعشق بل يؤمن بالصداقة التي هي أشد حرارة وثباتا وانتماء الى سبب وجود الإنسان على هذه الأرض وهي التي تبقى صامدة على مرّ الأيام والسنين . لكنّ هذه الصداقة لا تستطيع أن تلطّف من ثورتها على الذكورية التي لا تلين بفراق الحبيب أو غيابه . لقد طال الغياب فاشتاقت الى الموعد المعهود ، الى صوته وأصابع تلامس أوتار العود لكنّ الزائر يبقى ذاك الشبح الخفي سليلَ العراء فتعنفه قائلة :

اشفق على من تماهت بوهجك الغريب / واملأ وجودها بوجودك السرابيّ اللاموجود .

وتناديه برموزها الغامضة :

كفّ عن مطاردتي / لستَ من كنتُ أنتظر /

أمامك الكون بنسائه / والحبّ بقصائده / والجنس بأبوابه المشرّعة / ... دعني وشأني /

وبذكورية فاضحة مشبوبة متمردة تدعوه بها الى الرحيل :

هيّا ارحل / لا يمكنك احتلال فراغ روحي / ولا اجتياح كل قطعة من جسدي /

لا يمكنك أن تكون رجلاً . / الرجل .. رجلي / لأني أنا كلُّ النساء /

وبعد هدوء عاصفة التمرد ، تعود الى البحث عن الرجل بصمت وهمس وحنين :

أبحث عنك / أبحث في أعماق روحي / في بريق عينيك ... / أهمس اسمك في أذنيك /

عساه حبيبي يبلسم جراحي / وتستسلم روحي بين ذراعيك /

وبين لوحة وأخرى تتنازع حبّاتُ العناقيدِ مراحلَ عواطفها فتعبر قفزاتُها متصارعة كهبّات ضائعة برموز لا تعرف مرسى لها . فقد يكون السبب في ذلك تقلبات تتلاعب بها مؤثرات من إيحاءات التمثيل التي تسقط على الشعر المسرحي كسقوط الوحي عادة على الشعراء!

إنها الأنثى الخارقة التي تشتعل مع بزوغ كلّ فجر . تقول :

لا يخيفني غروب الشمس ولا صقيع السماء / فأنا بركان ! / أبعث النار منّي .. الى القمر فأشعله /

إذا جاورني الفقر طحنت الحجر / إذا أحسست بالجوع أكلت أسود الغاب وأفاعي الجبال / ... قلبي لا يدقُّ على هواه / بل يعزف لحني ويغنّي موالي /

غريبُ ديوانها إستهلالٌ جاء فيه :

أحبُّ الظلام / أشتاق اليه / أشتاق الى موعده المعهود في محطتي الأخيرة .

هذا الإستهلال يربط الشاعرة بحبٍّ لا ينتمي بوحُه الى لوحات الكتاب سوى بلونه الأسود الذي يوشِّح بعضَها بالحزن والبكاء ويبدو جليًّا في أول لوحة من لوحاته :

تمنّعت عيناي عن البكاء / لكنّ دمعتي خانتها .. / طقوسٌ طقوسٌ ...

موائد بلّوريّة من صقيع . /

أخيرا ، هل هي من نوع النساء اللآئي يخضعن للعشق !

حاشا للعشق أن يجد مطرحا له في قلب انثى تصمد في مواجهة طويلة حتى يعرف الرجل الى أيّة سريّة تنتمي من سرايا جيش النساء . عندها يصبح هذا العشقُ أسيرَها وإذا ولدت طفلا فطفلها سيبزّ جميع الأطفال لأنه سيكون ثمرةُ رحمٍ علّم الكون صناعة الرجال !

هذه السطوة الأنثوية التي تلغي كل هيبة ذكورية لا بد للشاعرة ان تعيد النظر بها حتى لا تشعل فتيل حرب شعواء اين منها حرب الطوائف والأديان وهذه ليست دعوة لإخفاء معالم الكتاب وحرمان القارئ من طبعة جديدة له يستحقّها بهويته الشعرية التي تعطيه إجازة في ما لا يجوز .

جوزيف الصايغ يحاور الفكر الغربي

لؤي اسكندر

في تمهيد لكتاب حواري ممتع تأخذك صفحاته الى أجواء حميمة شاعرية تلذّ قراءتها على أضواء الشموع الخافتة ، وتنقلك مع قاماتها الى مطارحك المزرية حيث الجمود الذي يعقلك حتى عن الهرب ، وبدءًا من اندريه ميكل الى الخاتمة بعد فرجيل جورجيو ، لا يسعنا بوقفة واحدة الإحاطة بإيحاءات الفكر الغربي وبالتخصيص بأفكار المحاور الذي قصد إلقاء عبر قاسية في كثير من تجاذبات حواره .

لذا ، كان التمهيد خطوة أولى تمدّ جسرًا واضحا للنقاش العقلاني حول الفكر العربي عبر مسلسله مع نخبة من اساطين الغرب .

يقول جوزف صايغ : « الحوار فخٌّ وأحيانا خبث . هكذا منذ السفارطة الأولين وأفلاطون . فالمحاور سفسطائي متنكّر يعتمد الحجّة ويتوسّل البيان والبلاغة لغرضٍ في النفس .

كلُّ حوار يستوجب نزاهة وتجردا عن الهوى قلّما يتوافران . والمحاور غالبا ما يكون في موقع العاشق : لا يفتش في المعشوق إلاّ عن عشقه فيفوته المعشوق في حقيقته .»

هذه الشارات اللاذعة في كتاب الصايغ « حوار مع الفكر الغربي « توجّه التأنيب تخصيصا الى المحاورين عندنا ، ذكورا واناثا ، ولست أجد صراحة أكثر وضوحا في كلامه الذي لا يقبل تحويرا أو تشذيبا وإذ يكمل :

« المحاور يسعى ، لاشعوريا ، الى تأييد رأيه وفرض فكرته على من يحاور ، فيأتي الحوار ـ غالبا ـ حديثا من طرف واحد ، سرعان ما ينقلب مناظرة إن لم يتحوّل سجالا وجدالا . , وإذا بالحوار مانع أكثر منه جامعا. لهذا السبب لم أثق قط بالحوار .فالحقيقة بديهية ، ومن لا يراها فهو لا يريد – أو لا يستطيع - أن يراها ، وعبثا إقناعه .»

يوقفنا الصايغ ، قبل متابعة قراءته ، عند محطة الحوار المسموع عبر الإذاعة أو الشاشة الصغيرة ، وهو كما وصفه ، تظهير للمحاور بكسر الواو أكثر مما هو للمحاور . فتكون النتيجة مشوشة لدى السامع الذي ينتظر غالبا تفسيرا عقلانيا من المحاوَر يوضح فيه حلاً لمشكلة متعثرة فينقضُّ المحاوِرُ عليه ليقطع أنفاسه ويتسلم زمام الحوار بما يمليه أو بما أملي عليه .

هذه المحطة تذكرنا بالفلتان وخطورته والذي يطلق عليه زورا اسم الحرية وهي الإبنة الشرعية للديمقراطية التي تتبناهاالإعلامية المتسلطة في زمننا المنفتح أما الإعلامي فقد فتح على حسابه معركة حامية الوطيس بين المتحاورين يبث فيها سمومه ثم يقف على الحياد وكأن شيئا لم يكن وهذا الذي نقوله ما هو سوى جزء من هلوسات تلقى على المستمع قسرا .

وإذ يكمل الصايغ حديثه عن الحوار وأدبيات الحوار ، ينقلنا فجأة الى تمهيد صحيح لكتابه . إنه الحوار بين الكتاب والقارئ والكتاب هو الطرف الذي ينقل الحوار ويطرحه للنقاش والتحليل.

الحوار هنا ي2جعل الإحتكام الى العقل بمنأى عن الهوى لأنه يميّز بين السقط والكمال وبين القامات والقُمامة وهذا أصدق القول . وبهذا المعنى فإن كتاب الصايغ هو كتاب القارئ ، أو كتاب قارئٍ أكثر منه كتاب مؤلِّف . وعلى الرغم من ان « الموقف المسبق والأفكار الجاهزة والمعتقد الثابت تزيّف الحوار « فإن الفوز بالحقيقة يبقى الهدف الأخير والمحطة الثانية في قراءة هادئة لكتاب « حوار مع الفكر الغربي « للشاعر جوزف صايغ المتمرّس بصناعة الكلمة .

يوميات كان الرئيس الأميركي التاسع والثلاثون يسجلها بصوته، يمليها على سكرتيرته، التي تحررها بدورها على الآلة الكاتبة، وتضعها في ملفات كبيرة من دون حذف او روتشة، لم يمح أخطاءه منها، ولا أحكامه المغلوطة، رغم أن هذه الفكرة راودته، بل اختصرها في صفحات غطى بها أهم الأحداث العالمية، التي شارك فيها وعايشها رئيساً، ومن بينها غزو الاتحاد السوفياتي لأفغانستان، وقطع العلاقات الديبلوماسية مع إيران. عن شركة المطبوعات.

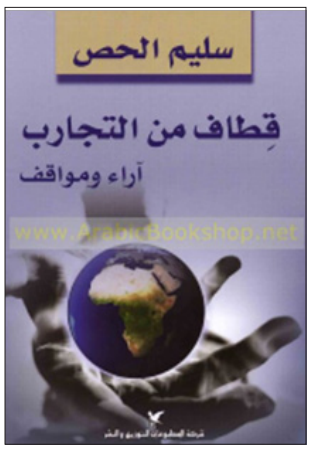

«قطاف من التجارب» يجمع الرئيس الحص ما كان كتبه في مواضيع شتى مستمدة من التطورات التي يشهدها لبنان والمنطقة، أو من تجارب المؤلف أطال الله في عمره في الحياة على مختلف الصعد.

«اللعنة على نهر الوقت» تحكي تاريخاً قريباً في حياة النرويج (١٩٨٩)، حيث الشيوعية تنهار في جميع أنحاء اوروبا. أرفيد يانسن ابن السابعة والثلاثين (بطل الرواية) يحاول في سرد شفيف ومتقن، اعادة النظر بكل ما يحدث، عبر عملية «فلاش باك» او استرجاع لذكريات جميلة جمعته مع أخوته، كذلك لقاءاته الأولى مع الحبيبة التي تصبح في ما بعد زوجته.

مثلّث النهضة: التنمية والتربية والحكم الصالح، قضيةٌ يتبناها هذا الكتاب لأنها تلامس في وضوحها وجرأتها ما نفكّر به كمواطنين حول الحكم والتنمية في بلادنا، ولا نعلنه لسببٍ أو لأخر.لماذا لا نؤسس لتغيير من دون دماء، ما دامت التربية وسيلة أساسية في تفعيل التنمية والديمقراطية؟! لماذا لا تكون الثورات العربية وردية ملوّنة بتربية وطنية ومعرفة واضحة لمبادئ التنمية والحكم الصالح، فتصبح النهضة مبنيّة على أسس متينة؟! .

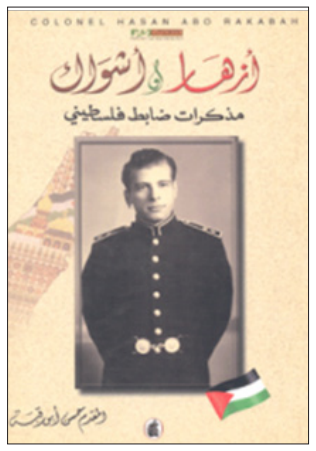

اريخ الشعب الفلسطيني مليء بالبطولات والتضحيات، وبالشهداء والمعتقلين، ومليء أيضاً تبعاً لذلك بالأزهار والأشواك. جرت العادة أن يسجل التاريخ الحكام أو المنتصرون، ولكن من حق أبناء الشعب أيضاً والمناضلين في صفوفه أن يشاركوا في تسجيل التاريخ بمختلف جوانبه، وبمنتهى التجرد الممكن عن طريق تسجيل حياتهم الشخصية بحلوها ومرّها بأزهارها وأشواكها. وفي هذا الكتاب سرد لحياة ضابط فلسطيني تمثل أيضاً جانباً من حياة شعب مجاهد في مختلف الميادين وفي جميع الأوقات، وتقدم إضاءات ضرورية عن بعض الأشخاص وبعض الأحداث، ومنها ما كان سراً أو شبه سر.

عد مسير منهك للأفكار، حفته تخبطات الصور، ولاطمته أمواج الرعب، وصلا الى قاعة كبيرة جدا، ليس بإمكان البصر بلوغ منتهاها، محاطة بجدران عُلقت عليها مشاعل ملتهبة تتأجّج بها نار تضيء المكان.

كيف شاهد الأطفال المذابح؟ ماذا فعلت بهم؟ يتناول هذا الكتاب العامل النفسي ومدى تأثيره على أجيال بكاملها. إذ يتطرق إلى ذكر التفاصيل الحقيقية لثلاثة أحداث هي: مجازر الأرمن، مذابح الفلسطينيين على أيدي الصهاينة، مذابح العراقيين على أيدي الولايات المتحدة وبريطانيا.

مُعتقل بوكا هو العجيبة السابعة على الأرض»البريغادير – جنرال ديفيد كوانتوك... مسؤول المعتقلات الأميركية في العراق». رواية تُمرّر معلوماتٍ عن السقوط السريع لبغداد...الواقع النفسي للجنود الأميركيين، وعن اختفاء الجيش العراقي كلّياً عن الساحة، وهي تفضح جلاّدي الولايات المتحدة الذين فتكوا بالأبرياء العراقيين في معقتل أقل ما يقال فيه أنه مسلخ بشري!ثمة من وصلوا إلى المعتقل عقلاء بل نخبويين وغادروه مجانين أو أشباه مجانين أو جثث هامدة.هُددوا باغتصاب زوجاتهم وأخواتهم أمام أعينهم ليعترفوا بما لم يقترفوه.فُتحت لهم أبواب الهروب ليصبح مسوغاً إطلاق النار عليهم. هناك من رُمي من مروحية، ومن اغتُصب فقرر الانتحار... روايةٌ متقنة بأسلوبها وحبكتها ولُعبتها وجنونها!

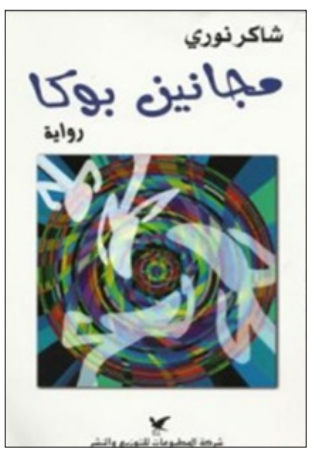

صدر للدكتور سمير التنير كتاب بعنوان (معمودية النار). يحلل الكتاب بموضوعية ومنهجية مجريات الربيع العربي في الدول العربية التي استهدفها، ويبحث في الأسباب والدوافع التي أفضت إلى كل ثورة على حدة. ويتناول النتائج الراهنة لكل ثورة ومستقبلها كما يضيء على الخط التصاعدي للإسلام السياسي وإفادته من المتناقضات الحاصلة في الميدان. يقع الكتاب في ٢١٢ صفحة من القطع الوسط.

صدرت رواية لـ (غيربرند باكر) بعنوان «التوأم». حائزة على جائزة (ايمياك دبلن الادبية) تستعرض الرواية العلاقات الاسرية والصراع بين افرادها، مستندة إلى القيم السامية ومحاولة كسرها.حب يؤدي إلى الموت، وموت يؤدي إلى علاقات جديدة في مزرعة ريفية بعيدة.أب متسلط يفرق بين توأميه، ويتحكم بعواطف ابنه الذي ظل حياً وبطموحاته واحلامه.في الرواية اجواء نفسية وصراع مع الذات واحساسات بالندم والخطيئة والعقاب الشديد في جدلية الـ «أنا» والـ «هو».تقع الرواية في ٣٠٥ صفحات من القطع الوسط.

صيف وشتاء

د.فيفيان الشويري

- لم تقل إنكَ تحبني ولا مرة هذه الليلة! ألم تعد تحبني؟
- لم أتوقف الليلة عن ملاطفتكِ ومداعبتكِ...
- هذا ليس حباً... هذا... فقط!
- وكيف يكون إذن؟
- ألم تعد ترغب بالزواج مني؟
- لا! لا أريد الزواج!
- هه، ولم لا؟!
- لأنه ليس بمقدوري الزواج، فأنا لا أملك فلساً واحداً...
- لا يهمّ يمكننا أن نعيش على الخبز والزيتون...
- حتى الزيتون لا أستطيع شراءه!
- أنا أشتريه...
- أنا لا قدرة لي على شراء أو تأمين أي شيء!
- هل ستذهب للعمل غداً ؟
- بالتأكيد. لدي ثلاث ساعات من التدريس المجاني طبعاً، وأنتِ؟
- وأنا أيضاً. متى سنلتقي ثانية؟
- لا أدري... على كل حال ليس قريباً لأن التنقل صعب فنحن على أبواب الشتاء.
- وما دخل الشتاء؟
- المواصلات صعبة، وكل شيء يتعطل...كما أن المصاريف أكثر...
- إذن هناك فرق كبير بين الصيف والشتاء...
- طبعاً، فكل المقاييس تختلف بين هذين الفصلين.
- بمعنى أن كلام الصيف يمحوه الشتاء!
- ماذا تقصدين؟
- تعدني بالزواج صيفاً وتتراجع عن وعدكِ شتاءً!
- الشتاء صعب!
- مع أنكَ قلتَ مراراً إنكَ تحب الشتاء.
- أحبه نعم، وأحب أجواءه الرومنسية ولكن ليس مع العوز والفقر! البلد يعجّ بالبؤساء والفقراء لا ينقصهم إلا البرد القارس والثلج والصقيع. من يكترث لهم؟ حتى الطبيعة تظلمهم!
- ألا تسمع الخطابات الرنانة التي يصدح بها المسؤولون في هذه الأيام بمناسبة أعياد الوطن والإستقلال: أيها الشباب، يا رجال الغد، أنتم المستقبل، أنتم سواعد الوطن، رجال الأمة، أمل الوطن...»؟
- لطالما ردّدوا ذلك وفي كل المناسبات! يُعَزون جنود المهرجان ليس إلا...!
- وهل هؤلاء الجنود الذين يقومون بالاستعراض الآن، باستطاعتهم الزواج وإنشاء عائلة؟
- حكماً، فهؤلاء أمّنتْ لهم الدولة كل شيء...
- يعني أن أوضاعهم المعيشية والإجتماعية أحسن من أساتذة المدارس والجامعات أمثالنا!
- بكثير...
- إذن لا مشكلة، وكما أرى فهم كثر وأولادهم سوف يكونون رجال الغد؛ سوف يعمّرون الوطن كما يخطب بهم الرئيس الآن، ولن يكون هناك خلل ديموغرافي كما نقرأ في الإحصاءات والتي دلتْ آخرها أنه في لبنان قد تخطى عدد الإناث عدد الذكور، بمعدل عشر إناث لكل ذكر!
- هذا مريح! وماذا سيفعل المسؤولون في وزارة الشؤون الإجتماعية حيال هذا الوضع الخطير؟ ماذا سيفعلون لتدارك الأمر؟
- ماذا يفعلون؟ من المؤكد أنهم سوف يأخذون الإجراءات اللازمة، وإلا لماذا يقومون بهذه الإحصاءات؟
- قلقاً على التوازن الطائفي، طبعاً!
- وما دخل الطائفية هنا؟ قلت لكَ مسحاً ديموغرافياً وليس طائفياً!
- هو نفس الشيء! لولا الإنتخابات ولوائح الشطب لما قاموا بأي دراسات ولا بأي إحصاءات. الإحصاء الطائفي هو الأهم...
- أوتعتقد؟ ألهذا تكثرُ الندوات التي يعقدها رجال الدين حول هذا الموضوع؟ حتى أن مجلس الكنائس اقترح مؤخراً على المتزوجين الإكثار من الإنجاب على أن يؤخذ الولد الثالث والرابع والخامس على عاتق الكنيسة وأظن أن الشيء نفسه يقوم به الشيوخ... بادرة جيدة، ألا تظن؟ على الأقل يأخذون حِملاً عن كاهل الدولة المسكينة!
- بل هم المشكلة، هم من يزيدون الطين بلّة ويسلبون الدولة دورها!
- وما الحل، برأيك؟
- لا حلّ إلا مع الحلول الجذرية!
- من أطرف ما سمعت حول هذا الموضوع هو ما اقترحه أحد الزملاء الظرفاء وهو أن يُعتمد الزواج المتعدد لدى المسيحيين بحيث يكون لكل رجل أربع نساء كما يحصل لدى المسلمين، وهكذا تحل المشكلة الديموغرافية.
- ولم لا؟ فكرة صائبة على الأقل تتساوى الطائفتان عند ذلك، وفي كل شيء!
- طبعاً تناسبكَ الفكرة أنتَ، كما تناسب كل الرجال! ولكن النساء...
- لا تخلطي الأمور ببعضها فيجب على النساء تقبّل هذا الحل. هذا عمل جبار وتضحية من قبل الرجال يصب في خدمة الوطن.لا بل عمل ثوري بكل ما للكلمة من معنى، يُرمى على كاهل الرجال وحدهم!
- أجل كما كل الأعمال البطولية التي يقومون بها... إبحث عن حلٍ آخر،أرجوك! والآن قل لي، هل غير الجنود من المواطنين، بإستثناء الأساتذة طبعاً، من يستطيع الزواج وتنشئة عائلة؟
- بالتأكيد، فهناك الموظفون والعمال والتجار وأصحاب المهن الحرة والأطباء والمهندسون والمحامون والقضاة والبوابون والصناعيون...
- كل المواطنين تقريباً... إذن لا مشكلة فرجال اليوم ينجبون رجال الغد... ما عدا الأساتذة!
- لا تنسي أن هناك فئة منهم موظفة ومضمونة...
- وفئة مغبونة مثلنا...
- هي قصة حظ! دعكِ من هذه الأمور، لماذا يقلقكِ هذا الموضوع؟ يكفينا فخراً أننا نربي الأجيال، فأنا لا أرى أي مشكلة!
- وكيف ذلك؟ ألم تعد تحلم أن يكون لكَ ولد يرث أفكاركَ، ويحمل المشعل بعدكَ ويناضل من أجل الوطن والحضارة والمستقبل الأفضل؟
- أبناء الوطن سوف يفعلون... نحن نربيهم من أجل ذلك!
- من؟ أبناء الآخرين؟ ها أنك تتكلم كما المسؤولين الآن! أتضمن تربيتهم؟ وهل يكفي أن يمرّوا على مدارسنا وجامعاتنا مرور الكرام؟ ومن أجدر من الأستاذ بتربية الأجيال؟ هو يربي أولاد الآخرين ولا يحق له أن يكون له ولداً يربيه، لأنه عاجزعن تأمين لقمة عيشه وغير قادر على الزواج، لأنه لم تؤمن له أدنى ضروريات الحياة حتى يُنشيء عائلة... فكيف يُبنى الوطن؟ وعلى سواعد من يقوم؟ هم ينجبون، هم يربون، هم يفعلون، هم...هم... ونحن؟ المسؤولون والزعماء يتطلعون الى رجال المستقبل، يعقدون الآمال على رجال الغد، يعطونهم المال والوظائف حتى ينتخبوهم ويحموهم... ونحن؟ من سيتشرب أفكارنا؟ من سوف يتمسك بمبادئنا؟ من سوف يناضل كما نحن نفعل؟ من سيكمل المسيرة إن نحن ذهبنا؟ من سينير دروب الظلمة والجهالة إذا ما نحن توارينا؟ من أجدى من المعلم بتلقين الوطن والثورة والقيم والقومية؟ من أجدر من الأستاذ بتعليم الكرامة والشرف؟ لأجل كل هذا أحزن، من أجلكَ من أجلي من أجل أجيال الغد. أتألم بسبب سياسة التهميش التي تحاك بحقنا، بسبب سياسة التجهيل التي تقام بحق أجيال غدنا؛ سياسة تجويع المثقف وحرمانه من العيش اللائق والكريم، بغية تكبيله ومنعه من العطاء والتنوير... أحزن من أجل كل مثقف يحمل همَّ الأمة ولا أحد يحمل همّ جوعه وتشرّده.

هُم، هَمّهمْ أجيال الغد ومستقبل الوطن الديموغرافي! ونحن، همنا الأمة ونوعية أبنائها وفكرهم وليس عددهم وكَمهم، همّنا روؤسهم وليس رؤساءهم! الأمة همّنا، واذا ما زِلنا، زالت. من يأبه فكلهم نيام!

- دعكِ من كل هذا وتعالي الى هنا...
- إذن قل لي أنكّ تحبني، تعزيتي الوحيدة حبكَ، ملجأي ومهربي...
- لا! لا أحبكِ.
- بل لا تجرؤ على البوح...
- لا أريد أن أعدكِ بشيء... لا أريد ان تستمر المأساة!
- إذن استسلمتَ؟
- نعم!
- وبهذه السهولة، وأنتَ الثائر، العنيد الطموح الذي لا حدود لجموح أفكاره ولا هدوء يُعرف لعاصفته؟
- لقد نسيتُ كل هذا...هذا من الماضي...
- وما السبب؟
- ألم أقل لكِ هو الشتاء؟
- وهل سوف تعود الى طبيعتكِ في الصيف؟ هل سوف تعود لحبي؟
- حبكِ ليس مرهون بالصيف والشتاء، فالحب لا يتبدل بين فصل وآخر. الحب الحقيقي لا تتبدل حرارته، هو ثابت، لا يتأثر بشيء!
- قل إنكَ تحبني إذن. قل مع فيروز «حبيتك بالصيف حبيتك بالشتي»...
- هي تغني ولا تقول.
- وما الفرق؟
- الفرق كبير! إنه مجرد غناء، أما القول فهو وعدٌ، هو إلتزام، هو مسؤولية. إن غنيتُ لكِ ورافقت اللحن، حسبتِ ذلك مجرد ترفيه لا يحمل في طياته جدية القول ومعاناته...
- عن أية معاناة تتحدث؟ عن أية مشاكل، الاقتصادية أو ربما الإديولوجية أم العقائدية؟ لم أعد أصدقك لم أعد أهتم لآرائكَ... فإذا كان الحب سيد الفصول كلها وهو الآمر الناهي والمتحكم بالأهواء والأطباع والعقول والقلوب، فهو بالتالي سيد الظروف كلها أيضاً وأعلى سلطة من كل واقع مرير. هو السيد الناهي والآمر عليّ وعليكَ. هو سيد القلوب وهو سيد العقول! هو سيدكَ...هو سيدي! فيا سيدي الكريم، إن كنتَ فعلا تحبني، لا تعلّل بالعلل والمشاكل والظروف ولا تتحجج بالصيف وبالشتاء. فأنا أحببتك وأحبك وسأحبكَ في كل الفصول، في الربيع والخريف كما في الصيف والشتاء. في الحر والبرد، في الصحراء وفي البراري، في الجبال وفي السهول، فقيراً كنتَ أم غنياً، أستاذاً كنتَ أم أمياً. لأنك تحمل همّ الوطن والهوية وليس همك الشخصي. وسأظل أغني وأقول، ولا أجد فرقاً بين القول والغناء، فالحب محا كل الفوارق:»حبيتك بالصيف،حبيتك بالشتي». عشقتكَ في كل الفصول. وأما أنتَ فستظل تكتم الصوت وتلعن القول والغناء، وستظل تحلل الفوارق بينهما، وتجتر همّ الظروف وتكفر بكل الفصول وبكل شيء، لأنكَ لم تحبني مطلقاً، لا في الصيف ولا في الشتاء...!!!
- مهلك، مهلك، لا تنسي... فنحن في لبنان!

إشتهاءٌ دون بلوغ

في زمنٍ ما ، حيثُ تتوالد البدايات كنمط لتكرار خارج على المألوف ، يُسدِلُ القمر القُرمُزي ألحانه كفراشات على مناديل الاغاني ، يتبدّل الإيقاع كلما أوغلنا في الضوء ، تتسعُ الرؤيا ، ترتسم إرتحالات مُغايرة في ذات القمر ، كسراج الليل يرسم طريق الوهج ، وميضٌ موصول بالحلم ، مُناجاة هي أم ترانيم وتساؤلات تبحث عن ألق أو وحي أو ما شابه .

في كثافة المعنى نعقد الصُرة مرتين ، كفلاح يُسافر الى القمر الفضي ،

يتكأ على عكاز التأمل ، يستحيل في مُسافرته هيولى تبحث عن حفنة ضوء . وكأنه إشتهاء المعرفة دون بلوغها .

1 ـ كضبابٍ تتغلغلين في إنتظاري ، إسطورة في طور التكوين .

2 ـ إكتمال القمر الزُهري ، دوائر في أسرار الأنوثة ، تناقُص لإمتلاء جديد .

3 ـ في عينيكِ جمعتِ حكايات البشر ، بقي ثُقب في الذاكرة ونافذة في مداها ضوء .

4 ـ يشغلني إرتقاص الفراشات في اليباس ولا أستكين .

5 ـ مُسافر بلا أشرعة ، أكتب قصائدي على ماء الزمن ، وكأنني صدى لإنعكاس الحقائق .

6 ـ سراج الليل ، وميض في حزن متوالد كالافكار والهواجس والمواويل الموغلة في الروح .

7 ـ إنفلات المحارة من صَدَفتها ، أُنثى تُغادرها الدهشة فتعود الى حزنها القديم .

8 ـ وللمرايا حكايات وأسرار ، صراع أزلي بين الانثى والله .

9 ـ كفراشات القناديل ، نحترق بحثا عن ضوء السعادة .

أمين الذيب

سحر خليفة وانطون سعادة

د. حياة الحويك عطية

ليست الاجازة فرصتك كي لا تعمل ، بل فرصتك لان تعمل ما تريد ، خارج ما هو مطلوب منك .

ايام قضيتها مع مسودة الرواية الجديدة للصديقة سحر خليفة : « اكثر من حب!» والتي تدور حول حياة وشخصية انطون سعادة . سحر تضطلع بمشروع تنويري جميل : اعادة تقديم ابطال ومفكرين غير فلسطينيين قضوا في نضالهم لاجل فلسطين . وهنا قد يبدو التعبير غريبا بمقياس المرحلة التي عاش فيها هؤلاء . ففلسطين لم تكن للسوري واللبناني والعراقي قضية شعب شقيق او مسالة تضامن ودعم ، كما بتنا نتداول في خطابنا الحالي ، وانما هي بالنسبة لهؤلاء قضية الامة في خاصرة من خواصرها ، جزء لا يتجزا عن سائر مشاكلها ، وصراع لا حل له الا في اطار حل ازمة الوجود القومي ، بازالة التجزئة واقامة مجتمع – امة – دولة ذات سيادة على كل ارضها وناسها.

من هنا يتبدى ان الفشل الاكبر لهذا المشروع التاريخي ما هو الا وصولنا اليوم الى تجزئة المسائل القومية ضمن القضية القومية الواحدة ، واعتبار كل منها قضية قائمة بحد ذاتها . بل واعتبار ان عزلها وحصرها وتحجيمها هو قرار استقلال وطني لا قرار انعزالي يقطع اليد عن القلب والقلب عن الرئة ، في اسوا استجابة لمؤامرة سايكس بيكو، ووعد بلفور . وهكذا يخطط الصهاينة والغرب لنا كوحدة ويحاربوننا كذلك ، بينما نواجههم نحن – ان واجهناهم – كاشلاء مقطعة فخورين بما نسميه – كما يريدون له – «استقلال قرارانا الوطني « متناسين انه حتى السرطان الشرس، يمكن القضاء عليه اذا تمت محاصرته وعزله . تشبيه يفترض ان نطبقه على اسرائيل باعتبارها السرطان ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، لانه لا محاصرة اطلاقا لها ، لا دوليا ولا عربيا ، وبالتالي فانها سرطان يتمدد ويستشري على هواه . اما سرطانات الكيانية التجزيئية التي اخترعت لنا وبتنا اكثر حرصا من اسرائيل عليها ، فهي التي تحاصر حتى الخنق ، بدءا من حصارها بيد من يهلل ويغني لها .

بذا يكون مشروع سحر خليفة مشروع يستحق التحية . حيث تعمل على احياء ذاكرة تلك الايام الحلوة – على مراراتها – يوم كان انطون سعادة يستشهد لاجل الامة ، وبتواطوء مع اسرائيل ، ويم كان سعيد العاص يمضي حياته مقاتلا على دروب سوريا الطبيعية مقاتلا الفرنسيين والانكليز الى ان يستشد في مواجهة الصهاينة في فلسطين ، ويوم كان عز الدين القسام ياتي من الشام ليروي بدمه ارض فلسطين ، الخ ... من قائمة تطول . مشروع يعيد الى الضمائر انتفاضة ضد التجزئة وتكذيب واقعي لحالتها المرضية التي باتت مطروحة كحقيقة لا جدال فيها. غير ان تناول انطون سعادة ، وهو النموذج الابلغ على هذا النضال ، هو مقاربة لما هو اعمق واشمل من مجرد مقاومة التجزئة ، ومن النضال الاستشهادي لاجل فلسطين . فسعادة هو مشروع تاريخي شامل لنهضة امة ، مشروع يقوم على رؤية شاملة متكاملة للحياة والوجود والمجتمع ، اعتمد على علم الاجتماع وعلى علم السياسة وعلى علم الاقتصاد ، ليصوغ عقيدة فكرية كاملة لا تهمل اي تفصيل من شؤون الحياة ، وترسي التطبيقات الكاملة لها في جميع المجالات ، في اطار نظام شكل يترجم نظاما فكريا واضحا .

ولذا فان ترتيب اسم النهضة ، كما اسماها صاحبها بوعي ، يضع السورية ثم القومية ثم الاجتماعية (وهكا ايضا الحزب الذي شكل الهيكل التنظيمي) . ترتيب يقوم على ان انطون سعادة لم يخترع سوريا ، فهي وحدة تاريخية قائمة منذ تكون الامم ، وحتى في مرحلة ظهور دعوته ، كان المناضلون على اختلافهم يدعون الى استقلال سوريا (بل ان ثورة فخر الدين المعني ضد العثمانيين بالتحالف مع والي عكا ووالي حلب قد هدفت الى الامر ذاته) ، وكذلك لم تكن الثورة السورية الكبرى امرا غير ذلك . بل ان الادبيات تتحدث عن ذلك بشكل تلقائي (جبران خليل مثلا) . ننتقل الى المصطلح الثاني : القومية . وهنا ايضا ليس الامر جديدا لان القومية بحسب سعادة هي وعي الامة لذاتها ، لوحدتها، لكيانها ، وهذا واجب الواعين من ابنائها ، خاصة عندما يكون هذا الوعي محاربا من قبل العثمانيين والغرب و الصهاينة . اما المفهوم الثالث ، فهو الجديد الخاص فكريا بانطون سعادة عالم الاجتماع والفيلسوف ، وهو ما شكل الاضافة الخطيرة التي كانت كافية لجعل حسني الزعيم وموشي شاريت ورياض الصلح وبشاره الخوري والسفارتين الاميركية والفرنسية ، ترتبان معا امر الغدر به واعدامه.

هل استطاعت سحر ان تقول كل شيء ؟

مازلنا في المسودة ، وسنكتب الكثير لاحقا ، لكن اجمل ما فعلته انها لم تضل في اي مفهوم طرحته (وان كانت قد اغفلت مفاهيم) مما يدلل على جدية البحث الذي قامت به ، كما انها لم تضل في اي حدث تاريخي . ولكنها استطاعت وبمهارة حلوة ان تضع كل هذه السيرة الصعبة في قالب انساني جذاب وروائي لا يسقط ابدا في الخطابية ، وضمن سياق حياتي واقعي يجعلم ترى كل شيء من الموقع الفلسطيني ، في ربط ذكي بين الحاضر والماضي القريب . عرفت ان تروي عبر سيرة الرجل سيرة امة وبعين فلسطينية.

ولننتظر العمل في صيغته النهائية

سندريلا ! كفى خداعاً

هل فعلاً نسيت السندريلا نعلها على درج القصر ؟سؤال يستفز خلايا دماغي !!!

السندريلا في حياتي كانت مجرد قصة جعلتني أعتقد ان النهايات دائما سعيدة .و انه لا بد لتلك الفتاة الفقيرة ان تجد يوما ذلك الأمير الذي

ينقذ اقدامها من الأحذية الباليه !! فعلا انا ساذجة السندريلا ليست سندريلا و الأمير مجرد ثري ظن ان السندريلا في الأصل أميره هكذا تكون المعادلات على الأرض. الانجذاب الواقعي بين الطرفين لم يعد كيميائيا» تراجع ليصبح بكل بساطة ماديا و تجاريا» بحتاً.فهذه الملاحظة لا تتطلب منك مجهودا لأكتشافها فبمجرد النظر من الشرفة على الأزقة تدرك كم ان الحياة تغيرت تعجرفت تصلّبت . النمو أصبح لا منطقيا» في مجتمعنا وذلك لأن الغرائز وحدها تعمل . أ صبحت الفتيات يتسابقن على اجمل اطلالة خارجية تثير الغرائز الجنسية وتجاهلن مدى تأثيرهن في افامة مجتمع نظيف خال من السطحية الخارجية . على من يا ترى يقع اللوم؟ و بما اننا في مجتمع ذكوري لن يقع اللوم ابدا» على الذكور. فالعناء العاطفي المستشرس في مجتمعنا الشرقي سببه التطور السلبي في العلاقات الثنائية بين العاشقين. فالغرام اصبح مرهونا» بالأختلاف الطبقي . مما جعل الحب عملة نادرة وذلك نتيجة ارتهانه بحجم السيارة والدخل الفردي و فاتورة الهاتف .فالمصالح الشخصية هي من اهم الأسباب التي تولد الحب و الشغف و هذه تعتبر من اهم الأفات الاجتماعية المتفشية التي تنهش فينا كسرطان خبيث . فبريق العينين في ليلة حب دافئة تحوّل الى بريق اسوارة ماسية في يد قلب متعجرف . فالمظاهر الخادعة ايتمت تلك الوردة الحمراء في كتاب شعر قديم . وذلـك ان الأزمـات العاطفية سببها الأزمات الأقتصادية و الشح المالي و الرواسب المتراكمة من الحروب المتتالية. أطلت الاستطراد سأعود الى حقيقة السندريلا . سندريلتي فتاة فقيرة أظافرها مقروضة وجهها جميل شاحب و نعلها يتفتت تطمح ان ينتشلها أي امير من الوباء الذي يسمى الفقر..وبما ان سندريلتي انا حلوة المعشر نصحتها نصيحة :من يحبك بصدق يصطاد روحك قبل ان يدرك كم ان الحياة افترست جمالك ... وحده تصديق الخيال يجعلنا نصدق مرارة الأيام!!!

هبة الله سلمان

في سبيل استمرار وانتشار واستقلالية تحولات اشترك وساهم معنا في الحملة

إن اسرة تحرير مجلة "تحولات" تعتبركم من اصدقاء المجلة والداعمين لاستقلاليتها واستمراريتها وتطورها.

لذلك، يسرها أن تتوجه اليكم بهذه الرسالة من أجل تعزيز التعاون عبر تقديم الإقتراحات وتبادل وجهات النظر والعمل معاً من أجل توفير قاعدة صلبة تضمن إستمراريتها وتوسيع إنتشارها.

لذا نتطلع الى مساهمتكم في الاشتراك في المجلة واهداء نسخ منها لأصدقائكم مما يسمح بوصولها اليكم في شكل منتظم ويضمن لها قاعدة ثابتة من القراء المتضامنين معها.

قيمة الإشتراك : ماسي : 1000$ ذهبي : 750$ فضي: 500 $ برونزي: 300$:عادي لبنان: 100$ الخارج: 150$

من اجل تسهيل عملية الاشتراك نأمل من حضرتكم تحديد الاشتراك وكيفية الدفع عبر القسيمة التالية:

اسـم الـمشتـــرك: _____

المنطقة: _____ الـمـبنى: _____ الطـابـق: _____

الهاتـف: _____ **الخلوي :** _____ **الفاكس:** _____ **ص. ب:** _____

البريد الالكتروني: _____

قيمة الاشتراك السنوي: _____ **إبتداءً من** _____ **الى** _____

نقداً _____

شيك مصرفي صادر لامر أبعاد ش.م.م أو تحويل مصرفي على حساب:

ACCOUNT NO: 234170-001

ABAAD S.A.R.L - AL - MAWARID BANK S.A.L - HAMRA BRANCH

IBAN Number : LB 91 0101 0000 0000 0012 3417 0003 - Swift :MABALBBE

Lebanon,Beirut,Hamra,MainStreet,RasamnyBldg.7thfloor Tell: 71-341622 / 01-751541 **Email: info@tahawolat.net** **www.tahawolat.net**